روايات عبير



مارغريت بارغيتر

فرس الرّيح

١٢٨

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABiR" – No. 128

فرس الريح

القلب مثل اليد... يذهب مع الانسان الى كل الأمكنة وحتى الى التراب.

قلب جين براون همس لها: لا تتزوجي من فيليكس، فاستمعت جين الى كلام القلب. ولكن والدها المتسلط احكم الطوق عليها، ولم يكن أمامها غير الهرب... هربت وليس معها سوى قلبها، وحبها للخيول وحلم بانشاء ناد للفروسية. كانت وحيدة... ضائعة تؤرقها الغصات، حين قرأت اعلاناً عن حاجة مزرعة للخيول الى عاملة... طارت فوراً الى العنوان لتلتقي صاحب المزرعة شارل الاكثر تسلطاً وقسوة من والدها... عاملها ببرود واهمال. ابكتها كبرياؤه... اذلها وعذبها واضطهدها. فهربت... ولكن هذه المرة لم يهرب معها قلبها بل خذلها وبقي في المزرعة قرب سيده!

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
RIDE A BLACK HORSE

١- هاربة من والدها!

اتخذت جين لنفسها مكاناً الى احدى الطاولات في المطعم الصغير، التابع للفندق الذي قضت فيه ليلتها، وما ان شرعت تتناول طعام الافطار، حتى وقع نظرها على هذا الاعلان في جريدة التي وجدتها مهملة على الطاولة:

- نبحث عن شابة للعمل في مزرعة كبيرة، ملمة بأعمال الفروسية. وعلى من تودّ التقدم لهذه الوظيفة، الاّ تخشى صعوبات العمل لأنه لن يتطلّب مجهودات كبيرة ومعقدة.

لم تعد جين تستطيع أن تبعد نظرها عن هذا الاعلان، الذي انتصب أمامها كالقدر، والذي شكل لها مقداراً كبيراً من التحدي؛ وفي الوقت نفسه، الحلم الذي طالما تمنّت تحقيقه،

فقد تمنت العمل في مزرعة السيد جون غرانت، صاحب خيول السباق الشهيرة في انكلترا، حيث كانت تمضي عطلاتها الصيفية وهي تتمرّن على ركوب الخيل، ولم يمنعها بعد ذلك من تحقيق هذا الحلم، سوى الصداقة التي تربط السيد غرانت باهلها.

وبهدوء، ادارت قرص الهاتف حيث أتاها صوت امرأة على الطرف الآخر.

- آلو... هنا هاي لنتون مكتب وكيل الاعمال.

فوجئت جين بالصوت الخشن الرتيب، واللهجة الحازمة فقالت:

- صباح الخير..

وشعرت فجأة بأنّ كلّ ما اعدته من كلام، تبخر من رأسها كالدخان، وعندما سمعت صوت المرأة يرتد مرة اخرى:

- آلو...

حاولت أن تستعيد طمأنينتها فأجابت:

- عفواً سيدتي... انه بخصوص الاعلان الذي نشر هذا الصباح، فهل أستطيع التحدث الى المسؤول؟ أنا جين براون.

لم يأت ردّ المرأة على الطرف الآخر سريعاً، وكأنها كانت تتحدّث الى شخص آخر بصوت خافت ثم أجابت:

- وكيل الأعمال ليس موجوداً اليوم وكذلك السيدة تيت المسؤولة عن المنزل.

هذا الرد أربك جين، وحاولت ألاّ تدع الفرصة تفوتها فسألت:

- اذن من يستطيع مساعدتي في هذا الموضوع.

وبشيء من التردد أجابت المرأة:

- لا بدّ أن السيد غريرسون على علم بالموضوع، وانه لمن الأفضل أن تحضري وتقدمي له نفسك.

اضافت جين بسرعة:

- ولكن أين يمكنني أن اقدم نفسي؟

أجابت المرأة:

- آه صحيح، كدت أنسى ذلك، هل لديك قلم لاعطيك العنوان؟

كان عليها أن تأخذ القطار من نيوكاسل الى هايدون وبالتالي تنتظر الباص الذي سينقلها الى هاي لنتون، وبدت المسافة لجين وكأنها لا تنتهي، في ذلك الطريق الصحراوي الوعر.

كانت تتمنى الاّ يكون السيد غريرسون رجلا عجوزاً، لأنها خبرت عدوانية الرجال من هذا الجيل وما يضمرونه من عداء للشباب امثالها، وتحملت بما فيه الكفاية من والدها الذي كان يظهر عكس ما يريد، ثروته هي المثال الساطع على ذلك. ولا شك بأنّ كل الأثرياء الذين في مثل سنه يفكرون بالطريقة ذاتها.

وأخيراً قالت جين محدّثة نفسها:

- ليكن ما يكون، اتخذت قراري وسأتابعه حتى النهاية.

كانت تشعر وكأنها مدفوعة بقوة خفية، لم يعد باستطاعتها أن تقاومها، وجدت الجريدة مفتوحة على الصفحة ذاتها، صفحة الاعلانات، وبصورة آلية ألقت نظرها عليها وسرعان ما انجذبت الى الاعلان: وظيفة وفي هذه المنطقة بالذات، وتتعلق بالفروسية؟ انه حلمها الأبدي الذي أرادت تحقيقه فور انتهائها من مرحلة الدراسة، وذلك بانشاء ناد للفروسية، وقد عارض والدها هذا المشروع بشدّة، وهو صاحب المصانع المتعدّدة، مدّعياً أنه لن يسمح لنفسه بتبذير أمواله في مشروع تنبأ بفشله سلفاً. ولم تكن السنوات الثمانية عشرة تخوّلها تحدّي ارادة والدها السيد أوستاش براون، الذي لا يقبل المناقشة، ولم تكن السنوات التي مرّت كفيلة بتعديل موقفه بل زادته عناداً وتصلباً.

ولم يقبل لابنته الطموحة ان تهدر طاقتها في غير المصانع التي يملكها، ولم تتفاجأ جين بذلك لأنها تعرف المستقبل الذي رسمه لها والدها، هو الذي كان يتمنى ان ينجب ذرية من الذكور ليكونوا عوناً له في ادارة الامبراطورية التي يملكها، وبالنتيجة لم يجد الى جانبه إلاّ ابناً واحداً هو جورج، الذي يكبر جين بعشر سنوات، والذي قام بكل ما في وسعه من تجارب في معامل ابيه، وهذا ما كان ينتظره السيد براون من ابنته، ورغم مرور ثلاث سنوات فانّ جين لم تتخل عن مشروعها، ولكن كان عليها ان

تثبت لوالدها بأنّها ليست تلك الفتاة الطائشة، وقد تحقق لها ذلك بدورة السكرتاريا، التي أثبتت فيها مقدرتها وتفوقها، ممّا خولها العمل كمساعدة لمديرها في العمل، ورغم انها استطاعت ان تبهر والدها بذلك إلّا أنها في قرارة نفسها، ظلّت تلك الفتاة التي تشعر باليأس، لأنها لن تتوصل الى تحقيق ذاتها في يوم من الأيام بعمل يمت بصلة الى آمالها وطموحها.

وبمقدار ما كانت جين تحاول أن تثبت شخصيتها، بمقدار ما كان يؤلمها وضعها المتناقض مع أمها وأخيها اللذين رضخا وبشكل اعتيادي، لطريقة الحياة التي فرضها والدها. كانت تشعر بأنّ هذه الحياة العائلية الرتيبة، تشكل عبئاً عليها، ولكنها في الوقت نفسه تريد المحافظة على نوع من العلاقات الجيدة معهم.

وها هي الآن تتذكر تلك اللحظات التي وقفت فيها الى جانب أمها المريضة، ساعية قدر الامكان ان تحافظ على العلاقة الأسرية القائمة في هذا المنزل، محاولة أن تنسى اللحظة التي وقف فيها أبوها موقفاً لا انسانياً مدعياً بأنّ هذا جزاءه لأنه دلل اولاده اكثر مما يستحقون، مما جعلهم يخرجون عن طاعته، ولا يفعلون إلّا ما يدور في رؤوسهم. كل هذا لم يزد جين إلّا تمرداً واحتمالاً، الى ان جاء اليوم الذي جعلها تكسر الطوق وتتخذ موقفاً جدياً في الخروج عن هذه السيطرة العائلية، عندما قرر والدها أن يزوجها من أحد أبناء عمومتها فليكس براون،

ليكون شريكاً له في مشاريعه، وهذه الفكرة وحدها كانت كفيلة بأن تجعل جين ترتجف، وتتخذ قرارها بعدم مرافقة أهلها في السفر الى كندا لقضاء العطلة الصيفية هناك، وإلّا فستجد نفسها بين يوم وآخر مخطوبة لفليكس بدون أن تعرف كيف ولماذا. وفي هذا الجو المشحون، كان كل ما يفكر به السيد براون، وهو في مطار هيثرو هو كيفية استغلال هذه العطلة، في توقيع عقود جديدة، وتجديد علاقات قديمة بعكس زوجته، التي كانت كطفلة لحظة الرحيل فهي تكاد لا تصدق بأنّ زوجها سيكون بكليته لها في هذه الرحلة، رغم قلقها لعدم مرافقة جين لهما.

ومع اختفاء الطائرة بين الغيوم، شعرت جين بالراحة، وأثناء عودتها الى المنزل قررت السفر الى اسكتلندا، بعد ان كانت حائرة بين دعوتين موجهتين اليها من فرنسا، وعلى الرغم من حبّها لفرنسا، رفضت الدعوتين بدون أن تعرف السبب، وكأن القدر هو الذي كان يخطط مسارها.

لم يقطع عليها هذه الذكريات إلّا صوت السائق الذي أشار اليها لدى وصولها الى محطة هاي ليبتون... حيث نزلت وهي تتنفس الصعداء، وسلكت الطريق الضيق متبعة التعليمات وبعد أن سارت في هذا الريف الموحش فترة، بدون ان تلمح أثراً لشيء قالت بصوت عال:

- يبدو انني ضللت الطريق...

وفور تسرّب الشعور باليأس الى نفسها، وهي تلعن السائق الذي رسم لها الطريق، لمحت بناء يكاد يختفي نصفه وراء ستارة من الاشجار، وعندما اقتربت أكثر، شاهدت منزلاً حجرياً ضخماً غائراً الى جانب الطريق محاطاً بمزرعة، وعلى المدخل كتب اسم المزرعة «هاي ليتون» فتنفست بارتياح، ومشت في الممر الفخم، الذي يؤدي الى المدخل الرئيسي وطرقت الباب.

وفي الداخل رنت خطوات ثقيلة تقترب من الباب، وما لبث أن ظهرت امرأة منذ أن رأتها جين عرفت بأنها السيدة التي تحدثت اليها على الهاتف، قالت السيدة بصوت أجش:

- اعذريني اذا تأخرت عليك، لا بدّ أنك تريدين مقابلة السيدة تيت.

وجهت نظراتها الفاحصة الى جين التي طمأنتها بقولها فوراً:

- أنا جين براون، اتصلت هذا الصباح، بخصوص الاعلان الذي كان منشوراً في الجريدة، وطلبت مني الحضور، وهكذا أخذت أول قطار...

فقاطعتها المرأة وقد امتقع وجهها:

- آه... هذا صحيح فأنا التي كلمتك على الهاتف، انا السيدة ديك زوجة الحارس وكما اخبرتك فان السيدة تيت المسؤولة عن البيت غير موجودة.

وهنا بذلت جين ما في وسعها لتحافظ على ابتسامتها وقالت:

- لقد حدثتني عن السيد غريرسون، فلعله يستطيع استقبالي؟ واذا كان ذلك مستحيلاً فيمكنني ان انتظر عودة السيدة تيت.

لم تستطع السيدة ديك ان تخفي قلقها وحاولت ان تتحاشى نظرة جين:

- ارجو ان يستطيع مقابلتك لأنه يكره ان يضيّع لحظة من وقته.

قالت جين لنفسها وهي تحاول ان تكبت مشاعرها، ماذا تريد ان تقول هذه المرأة؟ هل اعتقدت بأنني من الفتيات اللواتي لسن بحاجة ماسة للعمل؟ اذن لماذا هذا الحذر؟

وأخيراً حاولت جين ان تخفي نفاد صبرها عندما قالت:

- لو كان لدي احساس بأنني ساضيّع وقت السيد غريرسون لما اتيت الى هنا.

وهنا انبسطت أسارير السيدة ديك وقالت:

- صحيح ليس هناك اي تشابه بينك وبين تلك الفتاة التي جاءت في الآونة الأخيرة ولكنني لا أريد ان أثير حفيظة السيد غريرسون، لأنني سأتحمل جزءاً من المسؤولية. سأذهب لأرى اذا كان موجوداً في الأصطبل وإلاّ فلن يكون امامك الاّ الصعود

الى مكتبه بنفسك.

أحسّت جين برعشة خوف، وهي تتبع السيدة ديك داخل المنزل، حين تخيّلت ان يكون السيد غريرسون عجوزاً متسلطاً وقاسياً، ولدى دخول جين الى المكتب أغلقت السيدة ديك الباب بعناية.

وها هي جين الآن تجول ببصرها في أرجاء المكتب، حيث رصفت الجدران بالمكتبات، ونسقت عليها الكتب. أما المدفأة فقد أضفت جواً ريفياً دافئاً على الغرفة، وأحيطت بعدة مقاعد جلدية مريحة، ورتبت الأوراق فوق المكتب بعناية تدعو الى الملل. بعد ان ألقت جين نظرة على محتويات الغرفة، تركت نفسها تتهاوى على أحد المقاعد الوثيرة، وتنهدت لاجتيازها أولى المراحل. ولكن المنظر الآتي من النافذة شدّ نظرها الى ذلك الحقل الممتد بلا نهاية، والى التلال الرائعة في نهاية الصيف، والى تلك الاشجار الخميلة التي تكسر الرتابة العالية على المرعى، حيث كانت تسرح بعض الحيوانات. وهذا ما كان يميز تايندال، وعلى عكس ما شاهدته في ذلك الطريق الوعر الى هاي ليتون والتلال المحيطة بها والمجاورة لنورثومبرلند.

احست فجأة بالارتياح. ها هي الآن في المنطقة التي اختارت العمل فيها. واذا مرّ كل شيء على ما يرام. واستطاعت الحصول على هذه الوظيفة، فهذا هو المكان المثالي بالنسبة اليها لتتخلص من هيمنة والدها ولتثبت له أين تكمن مقدرتها

الحقيقة. وما أن سرى الدفء في جسم جين المتعب، واسترخت على مقعدها، وتسرب النعاس الى أجفانها. حتى دوّى صوت خشن من ورائها:

ـ صباح الخير.

قفزت جين من جلستها لتفاجأ بالنظرة العابسة الموجهة اليها، قالت في نفسها، لا شك انه السيد غريرسون. عينان رماديتان، حاجبان كثيفان سوداوان، وجه ذو تقاطيع حادة، قامة طويلة، جسم نحيل ومنكبان عريضان، ويبدو أنه لم يتجاوز الأربعين من العمر، اذن لم يكن ذلك العجوز الذي توقعته، المفاجأة شلت جين فغاصت بهدوء في المقعد، وقلبها يخفق بشدة، ثم استسلمت لما سيحدث. ولكن يا للعنة لماذا توجف الى هذا الحد؟ قابلت رجالاً من امثاله في المصنع... قررت ان تتماسك. وقبل ان تغوص اكثر في تساؤلاتها قال لها بلهجة ساخرة:

ـ قد يكون باستطاعتك أن تنزعي هذه القبعة المضحكة عندما تشعرين بأنك استيقظت من نومك. واخبريني ما الذي أتى بك الى هنا؟ أنا شارل غريرسون مالك هذه المزرعة اخبرتني هيلدا بأنك تبحثين عن عمل.

وبصعوبة شديدة حاولت جين ان تخفي سخطها من هذا الرجل الذي تجرّأ على محادثتها بهذه اللهجة القاسية، والتي لم يسبق ان حدثها احد بها الّا والدها. وبعفوية رفعت يدها الى

راسها ونحست قبعتها، انها القبعة المفضلة لديها، والتي استطاعت بها ان تخفي ضفائر شعرها الجميلة، ظناً منها ان هذا المظهر الرزين سيعطيها فرصة اكبر للنجاح، وهنا ارادت ان تثأر لنفسها، فوجهت الى محدثها نظرة تحمل الكثير من الفخر والتحدي وقالت:

ـ اذا كان احتفاظي بها لا يؤثر عليك فأفضل ذلك.

أجاب السيد غريرسون وهو يهز كتفيه بلا مبالاة:

ـ كما تشائين. . اذن يسرني أن أطرح اسئلتي على شابة في مثل سنك لا أرى منها سوى نصف الوجه.

ثم خلع سترته الأنيقة وجلس خلف المكتب، ومن خلال قميصه الرقيق برزت تفاصيل جسمه الرياضي، وبدأ يقلب بعض الأوراق، ويقرأ بعض الملاحظات المسجلة امامه، أما جين فقد تكورت في مقعدها واخذت تتفحص هذا الرجل اكثر، وتبين لها انه رجل ذو طبع فخور وقاسي، ولا بدّ ان يكون قوياً ومتسلطاً، يأمر فيطاع، وان الكل يجب ان ينحني امامه.

انها في النهاية امام رجل كأبيها، قطعت كل هذه المسافة ظناً منها أنها نجت بنفسها من أبيها. . وها هي الآن أمام نظيره. وكأن القدر يحب أن يسخر من الناس أحياناً. يبدو أنّ السيد غريرسون قرّر أخيراً أن يخصص لها جزءاً من وقته، فقال بلهجة جادة:

ـ قرأت الاعلان في الجريدة ثم رغبت في العمل هنا. . على ما أعتقد؟

هذا السؤال المباشر جعل جين ترتبك قليلاً وتتلعثم بردها:

ـ نعم، اتصلت هذا الصباح، والسيدة ديك نصحتني بأن احضر واقدم نفسي. ولم تكن جين بحاجة الى ان تنظر في وجه محدثها لترى ابتسامة السخرية المرسومة على شفتيه بل كانت متوقعة ذلك عندما قال:

ـ ادخلي مباشرة في الموضوع، فأنا لا أحب من يكون سبباً في ضياع وقتي.

ردّت جين على الفور:

ـ ارجو ألا تعاملني معاملة متميزة.

هذا الجواب اللفظ خرج من شفتي جين بدون أن تستطيع الامساك به، و[illegible] أضافت:

ـ اذا كنت مشغولاً يمكنني ان انتظر وكيل أعمالك، لأنني أعتقد بان مثل هذا الموضوع لا يشكل أهمية بالنسبة اليك.

ـ انت مخطئة يا آنسة. . جين براون، على العكس تماماً انا أهتم جداً بهذا الموضوع.

ثم وجه اليها نظرة ثاقبة جعلها تخفض نظرها واضاف:

- أنا من يدير هذه المزرعة، بمساعدة وكيل أعمالي، ولكنّني متمسك بمعرفة الموظفين الذين سيشاركوننا العمل، لأنني يجب ان اعتمد على كل موظف يعمل هنا.

أمام هذا الرجل الواثق من نفسه لم تستطع جين منع نفسها من تقليده فأجابت بوقاحة مصطنعة:

- هذا يعني أنّ الحظ لن يسعدني في الحصول على هذه الوظيفة؟

اجاب وهو محتفظ بالتعابير المرتسمة على وجهه:

- ولكنّني لم أقرّر ذلك بعد.

- ولكن انطباعك عني لم يكن جيداً!

- لماذا تستنتجين أمورك بهذه السرعة؟

وهنا خصّها بنظرة جعلتها تشعر بتفاهة تصرفها. اضاف بهدوء:

- لنبتعد عن التشاؤم، ولنبدأ ببحث الموضوع.

لجمت جين رغبتها القوية في الخروج من الغرفة، وأرغمت نفسها على المكوث في مقعدها. وهنا نظر اليها الرجل بسخرية وكأنه فهم هذه الرغبة المتولدة لديها:

- لا أعتقد أنك من هذه المنطقة؟ لا أذكر أنّي قابلتك من قبل!

شحب وجهها وارتجفت أجفانها وشعرت بغبائها عندما اعتقدت بأنها لن تتعرّض الى مثل هذا النوع من الاسئلة.

حدقت في السجادة المفروشة في أرض الغرفة. اجابت:

- لا.

كان ينتظر اجابة كاملة. فتابعت:

- اسكن بالقرب من برادفورد وصلت منذ قليل الى هذه المنطقة التي قرّرت ان أقضي فيها عطلتي الصيفية.

وهنا شعرت بأنها استعادت هدوءها، فالتفتت الى محدّثها لتتغلّب على نظرته الثاقبة قال:

- وشعرت فجأة بالرغبة في العمل هنا.

وبدا لها انه اكثر انتباهاً عندما أضاف:

- إذن انت لا تعرفين هذه المنطقة ولكن على الأقل هل تعرفين ما معنى مزرعة؟ أنا شخصياً اشك بذلك.

هنا شعرت جين بأنها وقعت في الفخ فردّت بمراوغة:

- أنا أحب الجياد وأعشق الريف... ومتأكدة من أنني سأعتاد على ذلك بسرعة.

- كثيرات قبلك أظهرن الحماس نفسه ولسوء الحظ لم تكن النتيجة سوى الفشل.

قالت جين:

- ربما...

وقبل ان تتم كلامها قاطعها

- أتريدين ان تعرفي السبب؟ لأن هؤلاء الفتيات كنّ من أسر غنية، تنشأن على النعومة فهنّ مثلاً لا يعرفن ما معنى كلمة

عمل. ولذلك قررت أن أكون اكثر حذراً من السابق، هل لي ان اعرف ما هو عمل والدك؟

بلعت جين ريقها وشعرت بأنها لا يمكن ان تتجاهل السؤال ولاسيما ان نظرة السيد غريرسون الموجهة اليها لن تسمح لها بالتهرّب، ولم تشك بأن الرجل الذي أمامها ينتظر من موظفته الجديدة ان تكون من اسرة متواضعة، فأجابت بصوت مرتبك وخافت:

- أبي يعمل في مصنع.

في الحقيقة جين لم تكن كاذبة تماماً باجابتها هذه. فقال لها مخففاً عنها:

- يجب ألاّ يكون لديك شعور بالذنب، هذا ليس عيباً، كل انسان بحاجة الى العمل والذي يهمني قبل كل شيء هو مقدرتك أنت، ماذا كنت تعملين قبل أن تأتي الى هنا؟ ما تكاد جين تنجح بتجاوز موقف صعب، حتى يضعها أمام آخر. ولحسن الحظ انه فهم بأنّ والدها عامل في مصنع ولم يشأ ان يحرجها اكثر من ذلك. ولكن ماذا يريد بعد ذلك؟ أجابت:

- كنت أعمل في مكتب.

وأضافت بسرعة:

- ولكنني لا احب مثل هذا العمل، فأنا اعشق ركوب الخيل، وفي الوقت نفسه الاهتمام بالشؤون المنزلية لا يخيفني

فاثناء مرض والدي تحمّلت كل المسؤولية.

- وبما أنها شفيت الآن ترغبين بعمل شيء آخر أليس كذلك؟

لانت لهجة الرجل وانبسطت أسارير وجهه فقال:

- ولكن اين تعلمت الفروسية؟

كان يعلق أهمية خاصة على هذا السؤال، مما جعل جين تعتقد بأنها وقعت في الفخ هذه المرة لا محال. فكيف ستخبره عن مزارع السيد غرانت، وعن الصداقة العائلية معه؟

أجابت جين بنوع من النفاق:

- تعلمت ذلك لوحدي، ولربما تود ان اجرب ذلك امامك.

- فيما يتعلّق بهذه النقطة على الأقل، يبدو لي انك واثقة من نفسك ولكنني اعتقد بأنك لا تعرفين شيئاً عما يتعلق بأمور العمل في المزرعة.

- لا أؤكد ذلك ولكنني أستطيع التعوّد بسرعة.

أضافت جملتها الأخيرة هذه بشيء من الترفع، ولمّا لم تعجبه طريقتها هذه في الاجابة قال بلهجة كاسرة:

- كنت أفضّل شخصاً اكثر تجربة.

جين اخفضت عينيها لتخفي اليأس الذي بدا على وجهها، وتساءلت كيف يمكن ان يتبادر الى ذهنها بأنها استطاعت ان تثير اهتمام الرجل ومع ذلك لم تفقد الأمل بعدما أظهرت نفسها أمامه بمظهر الفتاة اليائسة والتي هي بأمس الحاجة الى العمل، ولا تزال تتأمل بأن تثير شفقته عليها. وما ان رفعت عينيها حتى

فوجئت بالنظرة الحادة التي وجّهها اليها السيد غريرسون وبلهجة تحمل شيئاً من الوقاحة قال:

- قد تكونين فارسة جيدة، ولكنّني أفضّل ان اتأكد من ذلك بنفسي، لقد تعلمت الحذر من اللواتي سبقنك، اذن لنذهب ونرى، بينما هيلدا تحضر لك فنجاناً من الشاي ستكونين بحاجة اليه بعد ذلك.

كان قلب جين يخفق بشدّة وهي تتبع السيد غريرسون الى الخارج، وتمتمت بهذه الكلمات

- اشكرك يا سيد غريرسون، واعدك بأنني لن اخيّب ظنّك.

أجابها السيد غريرسون بدون ان يغيّر من سرعة خطواته وبدون ان يلتفت اليها:

- سأتأكد من ذلك حالاً.

الطقس كان كئيباً، والسماء بغيومها الكثيفة تنذر بالمطر. نظرت جين الى ساعتها ورأت بأن الوقت تأخر والساعة تجاوزت السابعة، ولم تكن لاحظت مرور الوقت. كيف ستستطيع العودة الى المدينة فلا بدّ ان يكون الباص الأخير قد مرّ منذ زمن طويل. ولكن هذا الموضوع أصبح جانبياً بالنسبة الى الموضوع الذي هي مقدمة عليه الآن، واسرعت الخطى لكي لا تتباعد المسافة بينها وبين السيد غريرسون. وبعد ان اجتازا عدّة أبنية، وصلا الى صف طويل من البيوت الخشبية الخاصة بالجياد مطلية

باللون الأبيض مما يدل على نظافة متكاملة.

دخل الى أحد الاصطبلات وعاد حاملاً سرجاً ولجاماً، ثم قال لها وهو يقيسها بنظرة:

- اغلقي الباب خلفي.

كتمت غيظها أمام هذا الرجل الذي لا يترك مجالاً لكي تفوته أي فرصة.

وهناك في البرية الممتدة خلف الاصطبلات رأت مهرة ذات مظهر متميّز، بدأت تقفز وشعر عنقها يتطاير بالهواء وانتصبت اذناها باتجاه الصوت، ممّا جعل جين تقف أمامها متأملة مسلوبة اللب. ولكن السيد غريرسون أخرجها من حالة التأمل هذه عندما نادى المهرة بصوت لطيف جعلها تقترب حالاً وهي تهز رأسها بحركة تدل على الصداقة. كانت تتمتع بجمال مدهش سيّما عيناها الواسعتان وكأنهما هالتان ذهبيتان. وبدأت تحك رأسها بكم صاحبها لتبحث عن قطعة السكر التي سيخرجها من جيبه فيما بعد ويضعها في فمها. وتوجّه الى جين قائلاً:

- انها مطيعة جداً وسترين ذلك، سنسرجها الآن ونرى ماذا يمكنك ان تفعلي.

المهرة لم تكن خائفة لا بل تعشق صاحبها، وكانت هذه هي المرة الاولى التي ابتسمت فيها جين منذ بداية هذا اللقاء. وشعرت بجو عائلي، وبدأت تمسّد بيدها عنق المهرة وهمست بأذنها كلمات لطيفة لتتقرّب منها كما تعلّمت من السيد غرانت،

وفي اللحظة التي همّت بسؤال السيد غريرسون عن اسمها بادرها:

- اسمها جنيفر.

صرخت جين بفرح:

- جنيفر كاسم زوجة الملك آرثر، اذن الدم الارثري يجري في عروقها بدون شك؟

أجاب السيد غريرسون:

- هذا ممكن ولكن ليس لي الفضل في ذلك، فعندما اشتريتها كانت تبلغ سنة واحدة من العمر وكانت تسمى بهذا الاسم.

وأثناء هذا الحديث كان قد أسرجها ومدّ اللجام الى جين، وخلال لحظات كانت جين قد أطلقت العنان للمهرة التي انطلقت في البرية عدواً. وجين منتصبة فوقها بشكل لا يصدق، وبهدوء ناداها السيد غريرسون، لكن جين لم تعد تسمعه، انها الآن في منتهى النشوة مستسلمة تماماً للسعادة التي غمرتها، الا وهي عودتها من جديد الى رياضتها المفضلة بعد ان انقطعت عنها منذ مرض والدتها، وهذا ما آلمها كثيراً، وبعد لحظات نسيت نظرات السيد غريرسون المصوبة اليها، وكان الصوت المنبعث من حوافر جنيفر يرن في اذنيها كالموسيقى.

همست في أذن المهرة:

- انك لجميلة حقاً.

هذا المديح الناعم جعل المهرة تتجاوب مع ما تريد جين.

الفارسة والفرس كانتا في الجانب الآخر من الحقل عندما ظهرت لهما الحواجز، فقفزت الاثنتان في الهواء، بانسجام متكامل لتجاوزها.

وبعد ذلك تقدمتا بخطواتهما عائدتين باتجاه السيد الذي كان بانتظارهما.

٢ - البداية . . . نار الغضب!

كلما اقتربت جين من السيد فرغسون، كلما ازدادت خشيتها منه. من بعيد أحست بأنها أعطته انطباعاً جيداً . . . ولكن ماذا اذا كانت مخطئة باحساسها هذا! لكن شكوكها هذه تبددت عندما نزلت عن المهرة ورأت عن قرب هدوء وجهه وبادرها قائلا:

- أعتقد انك تستطيعين القيام بهذا العمل.

ولم يعد بامكان جين ان تصبر من شدة فرحها فقالت:

- أفهم من ذلك أنك موافق.

- مبدئياً . . . اذا استطعت القيام ببقية الأعمال بالمهارة نفسها.

وتلعثمت جين عندما أرادت ان تشكره نظراً لابتسامة السخرية التي لمعت في عينيه . . . فحاولت ان تصلح من وضع قبعتها التي مالت عن رأسها، وتعيد ربطة شعرها كما كانت وقالت:

- أشكرك كثيراً يا سيد . . .

قاطعها:

- أتمنى الّا تندمي على هذا القرار يوماً ما.

وفي طريقها الى الاصطبل تساءلت فيما اذا كان ما قاله تهديداً، وعندما وقفت جين تداعب عنق المهرة، نظر شارل معجباً ببوادر الصداقة بينهما وقال:

- هناك عدة جياد أخرى، أهمها وأقواها هاموند الذي آمرك بالّا تقتربي منه مهما كانت الظروف.

ارتعشت جين من لهجته التي كانت كافية لاحباط اكثر الناس شجاعة وتابع:

- عدا الاعتناء بالجياد، عليك بمساعدة السيدة ماري تيت من وقت لآخر في الأعمال التي تتطلبها المزرعة، وهذا ما أغضب اللواتي سبقنك. ماري تقيم بالمنزل كذلك مارك فنويك وكيل أعمالي وطالبان آخران هما بيل وبن، وهكذا ترين ان أعباء العمل كثيرة ولا مجال للتسكّع. فاذا كنت بحاجة فعلية للعمل يمكنك البقاء طويلا بعد اجتياز شهر الاختبار.

صريح ومباشر، هذا ما كانت تفكر به جين وهي

بالسيارة الى جانب جانة ديك الذي يقودها الى محطة القطار لتعود الى الفندق بعد ان أخذت موعداً ليوم الاثنين المقبل.

نظرت أمامها الى الغروب وهي كئيبة. . . ماذا لو عرف السيد شارل انها خدعته بخصوص ثروة والدها. وعندما خلت لنفسها في غرفة الفندق، حاولت ان تستعيد هدوءها. . . ولم يبق عليها الا ان تأخذ حماما وتتصل بأخيها جورج المسؤول عن ادارة المصنع في غياب والدها، وتطلب منه أن يبحث عن بديل عنها، بدون ان تكلمك له بمكان وجودها ومشاريعها، في كل حال لن تتراجع عن قرارها. وكما توقعت، تلقى جورج الخبر بسخط شديد ورن صوته في أرجاء الغرفة مما جعلها تبعد السماعة عن اذنها بعض الوقت.

- افهمني يا جورج، طوال عمري لم احب المصنع، وأنت تعرف ذلك تماما. وأنا احلم بالرحيل منذ ان أنهيت دراستي.

- ولماذا اذن انتظرت كل هذا الوقت؟

- صدقني يا جورج بأني حاولت، ولكن ماذا يمكنني ان أفعل وأنا في السابعة عشرة من عمري أمام رجل كوالدك؟

- وهكذا ثلاث سنوات مرّت وأنت ما زلت تعيشين حلمك السخيف، نادي الفروسية.

وحاول ان يرغم نفسه ليهدأ قليلا، وتابع:

- كفى يا جين عن هذا السلوك الطفولي وعودي الى

المنزل. . . واذا ما تزوجت بفليكس. . .

قاطعته جين:

- لا مجال للتفكير في موضوع الزواج من فليكس. . ولا من غيره. . .

صرخ جورج بعصبية:

- أنت مجنونة. يكفيني ما عندي من هموم. . . وماذا سأقول لأبي عندما يعود، انك مخطئة اذا ما تخيلت بأن والدك سيعدل موقفه ويقبل مشروعك اللعين.

أجابت جين بصوت مكتوم:

- أنا لا أعتمد على احد.

ورفعت خصلة شعرها عن جبينها:

- لكن من اين ستأتين بالنقود؟

- انسيت حصتي من إرث جدي براون. فاليوم الذى أبلغ فيه الواحدة والعشرين من العمر، سأحصل عليه، صحيح انه ليس بالمبلغ الضخم ولكنه سيكفيني كمطلق.

- اذن بحق السماء لماذا لم تنتظري بضعة أشهر أخرى لتحصلين على المبلغ؟

- اطمئن يا عزيزي، لقد فكّرت بذلك جيداً، لكي لا أبذر هذه النقود، لا بد من أن أحقق لنفسي فكرة العمل الذي يهمني، وأتعود على الحياة في الريف وكل ما يستلزمه مثل هذا المشروع.

وفجأة بدا لطيفاً وقال:

- قد تكونين على صواب، ولكن لماذا نستعجل الأمور، فاجازة الشهر هذه من حقك. وفي نهايتها سنرى ماذا نفعل، ولكن أعطني عنوانك لأستطيع الاتصال بك في الحالات الطارئة.

لم تثق جين بما قاله جورج لأنها تعرف بأنه لا يتراجع عن آرائه بهذه البساطة، فقالت في نفسها «كل شيء الا هذا».

- في مكان على الحدود الاسكتلندية، لا أعرف تحديده، ولكن لا تقلق فأنا بخير.

- لا تتهربي، يهمني ان أعرف أين أنت، وفيليكس يريد مراسلتك بكل تأكيد.

- لا لن يحصل على عنواني. اترك العمل لأجل غيره وليس لديه مشاكل والدك في العمل... فاطمئن، وسأتصل بكم من حين الى آخر.

وأقفلت السماعة كي لا تسمع احتجاج اخيها، لن تتحمل ان يعاملها أحد على انها طفلة، ولقد حددت أهدافها وتحاول ان تحققها. التفتت الى المرآة بعد ان شعرت انها بحاجة الى الاطمئنان عن مظهرها الأنثوي، ففكت ضفائر شعرها فانسدل كالشلال على كتفيها، وكأنها لأول مرة تكتشف شكلها عندما لاحظت ذلك الشبه الغريب بينها وبين عارضة أزياء فرنسية شاهدت صورها في احدى المجلات.

«بالتأكيد ورثت ذلك من أجدادي لأمي»، وابتسمت وهي تتخيل والدها الذي وقع في حب أمها من النظرة الأولى أثناء الحرب العالمية الثانية وتزوجها فوراً، وقد يكون القرار الوحيد الذي أقدم عليه في حياته بدون ان يكون العقل هو المسيطر. ولكن للأسف جين لم تتعرف الى أجدادها الذين قتلوا أثناء الحرب ولم يبق لها في فرنسا الا القليل من أبناء العموم، والغريب ايضا ان تنجذب امها التي تتمتع بكامل الأنوثة والحيوية الى رجل «مادي» بارد كأبيها. ومرة أخرى عادت الى التفكير بشارل ومدى تأثيره عليها.

مرت عطلة آخر الأسبوع سريعاً، كان عليها ان تجد مكاناً لوضع سيارتها التي لم تتحدث عنها أمام شارل، كما كان عليها ان تقوم ببعض المشتريات اللازمة، من السراويل والقمصان وبعض الكنزات من أجل الاعمال المنزلية.

وبخروجها من محطة القطار مساء الأحد، فوجئت بأن الباص الأخير قد غادر المحطة. فطلبت من الموظف سيارة أجرة تنقلها الى هاي ليتون، ابتسم الموظف من خلف مكتبه قائلاً:

- آسف يا آنسة... ففي القرى دائماً نقص بتلبية الطلبات.

- ان السيد شارل لم يعلمني بذلك.

وخرجت وهي تلعن في سرها وتتوعد. وعندما وصلت الى خارج المدينة كانت ترتجف تحت الريح الجليدية التي تأتيها من المرتفعات وتوقفت لحظة لتلف نفسها جيداً بواقي المطر الذي

تلبسه... لأن الغيوم السوداء المنسحبة باتجاه الأفق لا تنذر بالخير.

من الأفضل ان أسرع قدر الامكان اذا كنت لا أريد الوصول مبللة بالمياه. وشعرت بالحزن عندما رأت بأنها الكائن الانساني الوحيد وسط هذا الجو الكئيب، وفكرت بأنها لو كانت رافقت أهلها الى كندا لما تعرضت الى مثل هذا الموقف.

وارتعشت إثر سماعها محرك سيارة من خلفها مع ضربة زمور فالتفتت الى الوراء حيث وقفت السيارة قربها:

- هل استطيع ان أساعدك في الوصول الى مكان ما؟

كان صوت الشاب يحمل نبرة تستلطفها جين، كما كان كالنعمة التي حلّت عليها من السماء، انها ضد الصعود في سيارة مع شخص مجهول في هذه الطريق الصحراوية... ولكن ظرفها الحالي لم يدع لها مجالا للتردد أجابت فوراً:

- نعم وشكراً!

وأخذت مكانها الى جانب السائق الذي سألها:

- أذاهبة الى مكان بعيد في هذه المنطقة؟

ورغم الظلام استطاعت جين ان تميّز ابتسامة الشاب فأجابت:

- أنا ذاهبة الى هاي ليتون... ولا أدري اذا كنت تعرفها؟

- بالتأكيد أعرفها بشكل جيد!

والتفت اليها بتوتر لدرجة ان السيارة انحرفت عن خط

سيرها، وقال:

- شاءت الصدف ان أشتغل في هذا المكان كوكيل أعمال، وها أنا عائد من عطلة نهاية الأسبوع، ولربما أنت كذلك؟

- لا ليس تماماً.

بذلت جين ما في وسعها لكي تخفي الاضطراب الذي ولّده لديها تصرف هذا المجهول، وبالتأكيد فان السيد غريرسون والسيدة ديك لم يخفيا عنها وجود وكيل الأعمال. ولكن ان تلتقي به هنا وفي هذه الظروف قالت:

- قابلت السيد غريرسون يوم الجمعة... ووافق على فترة الاختبار.

- فهمت!..

وزاد في سرعة السيارة بشكل عصبي مظهراً عدم ارتياحه من الخبر وعندما نظرت اليه جين باندهاش شاهدت المرارة المرسومة على شفتيه:

- كان عليّ ان أعرف ان شارل سيضع كل شيء تحت تصرفه أثناء غيابي.

قال جملته الأخيرة بلهجة خشنة، مما أزعج جين لأنها لا تريد ان تكون سبب نزاع بين الرجلين.

- كان عليّ ان أقابل شخصاً آخر

تمتمت بهذه الكلمات علّها تحاول اصلاح الموقف وأضافت:

- لكن السيد غريرسون لم يكن له الخيار فقد اضطر أن

يستقبلني.

ضحك الشاب باحتقار وقال:

- لن تتأخري حتى تعرفي ان شارل لديه المزيد من الخيار، وأتذكر تماماً بأني اعلمته قبل غيابي بأني متمسك بالتعاقد شخصياً مع الموظفة الجديدة، ولكن كالعادة شارل لا يفعل الا ما يريده هو.

وتراكم الانزعاج داخل جين، وفهمت ان علاقة السيد غريرسون مع وكيل أعماله ليست على ما يرام، وبلهجة هادئة مفتعلة قالت:

- لا أفهم لماذا تناقش تصرفات السيد غريرسون، في كل حال هو رب العمل.

ولم يتضايق الشاب من الملاحظة الأخيرة لا بل خفّت حدة لهجته وقال:

- اعذريني فأنا لم أقم بالواجب نحوك ولم أقدم لك نفسي، اسمي مارك... مارك فنويك. وهكذا وبهذه السرعة استطاع الشاب ان يستعيد مرحه مما جعل جين تبتسم وتقول بدورها:

- أنا جين براون.

- ولكن أود ان أعرف ماذا جاء بك الى هاي ليبتون.

خفق قلب جين ولكنها حافظت على نبرتها المرحة وقالت:

- حتى الشابات بحاجة للعمل نظراً لمتطلبات الحياة.

وبدا انه غير مقتنع وتابع:

- هاي ليبتون لن تخيّب أملك، فالعمل هنا قاس، قاس جداً وشارل يدير كل شيء بيد من حديد.

ورغم المرارة التي عادت الى صوته فان جين لا تزال تراه لطيفاً.

ان شاباً مثل مارك في الخامسة او السادسة والعشرين من العمر لا يستطيع ان يتحمل شخصية شارل المتسلطة، لأنه بحاجة الى اثبات شخصيته.

- العمل القاسي لا يخيفني، ماذا يمكنني ان أفعل غير ذلك؟

وفي الخارج ومن حولهما كانت قد ازدادت كثافة الضباب وامتد حتى غطى البرية بكاملها مما زاد عزلتهما في المنطقة.

- وأوقات اللهو... كيف تمضيها؟ اذا كنت تحبين نوادي الرقص وبحاجة الى مرافق جيد فيمكنك الاعتماد عليّ.

وابتسمت جين بعصبية وقالت:

- بدون أن أخيب أملك... لا يستهويني هذا النوع من اللهو، وأفضل ان أقوم بزيارة متحف أو مكان أثري أو ان أشاهد عرضاً مسرحياً.

- حسناً... ان معرفتي الفنية اذن ستكون مفيدة بالنسبة اليك.

وانفجر الاثنان ضاحكين... وفجأة تجمدت الضحكة على الشفاه وارتعشت جين. السيد شارل يقف بمدخل المزرعة والشرر يتطاير من عينيه الغاضبتين وتوجه نحو السيارة مسلطاً

نظراته الحادة على جين والتفت الى مارك:

- وأخيراً قررت العودة، انتظرتك البارحة يا مارك، وأنت يا آنسة براون كان عليك ان تكوني هنا منذ ساعة.

جحظت عينا جين، قليلا ويتهمني بالتواطؤ. ورمقهما شارل بنظراته المتفحصة كطفلين مذنبين، وشعرت جين بأن مارك يحاول ان يتماسك.

- التقيت جين على الطريق ولا يمكن أن أدعها تكمل الطريق سيراً على الأقدام، وانني أتساءل كيف غاب عنك ان ترسل اليها أحداً الى المحطة، أنت الرجل المنظم...

ولم يدعه شارل يستكمل كلامه لقد فتح الباب الذي بجانب جين وقال:

- لا مبرر لأن ترفع صوتك يا مارك فانا لست اصم. ولنتساءل على من يقع الخطأ. بيل طلب اجازة لحضور زواج اخته، وقد وافقت اعتماداً على عودتك البارحة، كما هو متفق عليه، وعلى الأقل كان عليك ان تعلمني مسبقاً. وتأكد بأن هذه العطلة كانت قاسية على الجميع.

أما جين فقد تجمدت ولم تجرؤ على القيام بحركة لاحساسها بأن هذا الرجل يقترب منها ويتفحصها بنظراته من رأسها حتى أخمص قدميها. انه الشخص الوحيد الذي استطاع ان يؤثر عليها بهذا المقدار وسمعت صوت مارك:

- ولا مبرر لخلق المشاكل، فقد تكون هناك ظروف...

قاطعه شارل بابتسامته المعروفة:

- لا شك في ذلك، وليس لدي الوقت لأسمع أعذارك الآن، سأراك فيما بعد ونستكمل الحديث... ولكن الآن سأذهب لتقديم الآنسة براون الى ماري.

وبعد ان وضعت جين حقيبتها نزلت بسرعة من السيارة ولم يفكر أحد من الرجلين بمساعدتها وتعبت من تتبع خطوات شارل الذي التفت اليها ممسكاً ذراعها بقسوة قائلا:

- اسمعي جيداً يا آنسة براون، أنت لا تزالين لغزاً بالنسبة الي واتمنى الا أكون مخطئاً بالتعاقد معك.

ثم تابع سيره بدون ان يقول كلمة واحدة حتى وصل المنزل، ولم تعرف جين كيف تفكر. انها مقسمة بين الخوف والمفاجأة، ولم يكد الاثنان يدخلان المنزل حتى هرعت سيدة طويلة ونحيفة لاستقبالهما:

- الحمد لله على سلامتك يا سيد شارل، كنت قلقة لأنك تأخرت في الذهاب والعودة من المحطة...

وتابعت ماري وهي تحاول ان تلتقط أنفاسها:

- لا بد انها الآنسة براون؟

ارتسمت على وجه جين ابتسامة لأنها التقت أخيراً بوجه مليء بالشفافية والحرارة والطيبة، وتبادلت النظرات مع ماري عندما قال شارل:

- لقد تعطلت السيارة أثناء ذهابي لملاقاة الآنسة براون، مما

أرغمني على العودة لأخذ السيارة الأخرى، وفي هذه الفترة حضرت الآنسة براون بصحبة مارك ويبدو عليها السرور. ونظر بخبث بوجهه الغاضب الى جين التي امتلأت غيظاً من احتقاره وردت:

- لم أكن أعرفه قبل ان أصعد في السيارة، لقد اصطحبني الى هنا، ما هو الخطأ في ذلك؟

وأحست جين بأنه من الأفضل ان تصمت بعد ان هز شارل كتفيه بلا مبالاة وأضاف:

- ان الموضوع لا يعنيني. . . كل ما في الأمر انك تسببت في ازعاجنا نتيجة تأخرك. . . ولن نتحدث بعد الآن في هذا الموضوع.

ثم التفت الى ماري بدون ان يعير اهتماماً لنظرات الاحتجاج التي بدت على جين.

- ان الآنسة تعتقد بأننا نشك بمقدار صدقها، فأرجو ان تشرحي لها بعد ان أترككما، بأن أهم ما يميز مجتمع هاي ليتون هو الصدق.

أطرقت جين وهي تقول في نفسها: يا له من رجل يختلف عن كل الذين عرفتهم فيما مضى. كيف يستطيع ان يتوصل الى معرفة ما يدور في خلد الآخرين؟ وتابع شارل:

- سأترككما الآن كي لا يظن مارك بأنني نسيته وأنت يا جين سأنتظرك غداً صباحاً في مكتبي وأرجو ألا تتأخري.

وبدون أي كلمة نظرت المرأتان الى شارل وهو يخرج من الباب، ثم التفتت ماري وأمسكت بذراع جين تقودها الى غرفة الطعام حيث امتلأت الطاولة بأطباق شهية ثم قالت:

- اخلعي معطفك يا عزيزتي وسأعدّ لك القهوة.

وبعد ان شعرت جين بجو الغرفة الدافىء، خلعت معطفها وتوجهت نحو الموقد وجلست بجانبه مسترخية، وأحست بالهدوء والجو العائلي بعد لقائها بماري، وانسلّت الى جانبها الهرة تتحسس بها، قبل ان تذهب الى المطبخ، وتلاعب ماري التي حملت القهوة الى جين وهي تحاول ان تبعد الهرة كي لا تتعثر في خطواتها، وعندما نظرت الى وجه جين الشاحب قالت:

- ستشعرين بالتحسن بعد تناول طعام العشاء، واذا كان لا يضايقك سأناديك باسمك جين، وأنت تناديني ماري.

وبعد أن أخذت جين مكانها الى الطاولة.... أضافت ماري:

- لا تحملي هماً يا عزيزتي، ان شارل مخلص، ولا أعتقد بأنه يريد ارهابك.

أجابت جين وهي تتناول قطعة من الخبز وتقرّب طبق السلطة أمامها:

- قد أكون مخطئة في مصاحبة شخص لا أعرفه، ولكن لم يكن أمامي حل آخر، ولذلك فالسيد شارل كان قاسياً.

أجابت ماري وهي تتجرع قهوتها بلذة:

- يجب ان تعذريه. لقد كان الاسبوع الماضي مرهقاً بالنسبة اليه في غياب وكيل أعماله، بالاضافة الى العطل الذي أصاب سيارته وهو في طريقه الى المحطة لاحضارك.. . وهذا ما جعله أكثر عصبية.

ابتسمت جين وشعرت بنوع من الارتياح، وبعد أن انهت طعامها وشربت قهوتها.. . قالت لها ماري:

- لقد حان الوقت لكي تنامي الآن، ولا تنسي بأن شارل ينتظرك باكراً في مكتبه، وسيعطيك كل التعليمات اللازمة للعمل.

قالت جين:

- افهمني السيد شارل يوم الجمعة بأن عليّ ان أساعدك في الأعمال المنزلية.

رفعت ماري حاجبيها مستغربة قليلا وأجابت:

- ان السيدة ديك هي التي تساعدني عادة. ولكن قد احتاج مساعدتك أحياناً في أيام العطل، حيث تمضيها السيدة ديك مع أهلها.. . وأعتقد بأنه يكفيك ما لديك من الأعمال مع الجياد، خاصة أثناء غياب شارل الذي غالباً ما يحدث.

أضافت جين:

- أعتقد انه أصيب بخيبة أمل مع الموظفات السابقات؟

ابتسمت ماري قائلة:

- هناك واحدة بقيت معنا لمدة عشر سنوات ثم تركتنا لتتزوج، وبعد ذلك خلفتها اثنتان من أسر غنية ومن النوع المدلل والمعتاد على حياة الرفاهية. لذلك لم يكن جديات في العمل، ولكنني متأكدة بانك مختلفة.. . وهذا ما أتمناه من كل قلبي.

- سأبذل كل ما في وسعي، وان كان على ما يبدو السيد شارل من النوع المتطلب، أليس كذلك يا ماري؟

- في الحقيقة انه ليس مريحاً، ولكن كلما كنت جدية في عملك كلما ابتعدت عن شكواه وملاحظاته.

نهضت ماري بعد ان تركت جين مشغولة البال لآخر جملة قالتها وأضافت:

- حسناً.. . انك متعبة وسادلّك على غرفة نومك.

ولم تستطع جين الا ان تتبع ماري.

٣ - طاولة لشخصين!

استيقظت جين في السابعة صباحاً، وتوجهت الى المطبخ حيث التقت مارك، الذي سبقها لشرب الشاي، استقبلها بابتسامة كبيرة، ويبدو انه نسي الاساءة التي تحملها ليلة امس من شارل.

- من الفترات الصعبة بالنسبة الي هي العودة الى العمل بعد العطلة، وهذا الشعور يرافقني منذ طفولتي حيث كنت اكره النهوض المبكر، والعمل او المدرسة بعد العطلة.

وتذكرت جين بأنها هي ايضاً كانت لا تحب ذلك، ولكن في الريف كان هذا شبه الزامي خصوصاً في مزرعة كهذه، وعلى وكيل الاعمال متابعة العمل طيلة اليوم، وكأن مارك قد فهم ما

صايبي جين عندما تنهدت فقال:

- لا ضرورة للضيق، فقد نهضت في السادسة، ولست الوحيد بالتأكيد، في كل حال نصيحتي اليك بان تسرعي للقاء العزيز شارل اذا كنت لا ترغبين في اثارة غضبه.

- يا لمقدرة هذا الرجل!

هذا ما فكرت به جين وهي في طريقها الى القصر.

- التحذيرات تأتي من كل صوب، البارحة ماري واليوم مارك، من هو هذا الرجل الذي يستطيع ان ينشر هذا الخوف حوله.

واحست بالشفقة على الفتيات اللواتي سبقنها.

- انه لمن المؤكد بأنهن وقعن في حب سيد هاي لينتون وطردن إثر ذلك.

وشيئاً فشيئاً ظهر القصر بجماله الذي يفوق الوصف، بناء متناسب متناسق، العرائش الخضراء تتدلى من الأعلى حتى تصل الى الفسحة الأرضية التي تحتوي بركة ماء، يتلألأ تحت الشمس كالفضة، والطيور ترفرف حولها وفوقها... كان بإمكانها ان تجلس ساعات وساعات تستمتع بجمال الرؤية، ولكنها ارغمت نفسها على مغادرة المكان فاللحظة لم تكن ملائمة لتطلق العنان لأحلامها، وقد يكون السيد شارل يراقبها من خلف إحدى النوافذ. وعندما وصلت الى المدخل الرئيسي عرفت بأن هذا البناء يعود تاريخه الى عام ١٧٤٠، كما كتب على

لوحة في المدخل الذي عبرته فوجدت نفسها في صالة كبيرة علقت على جدرانها لوحات جميلة بين الأعمدة التي تفصل المساحات الجدارية. وكلمة، مكتب، رأتها بأحرف كبيرة على احد الأبواب الذي ما كادت تقرعه حتى سمعت صوت شارل يدعوها للدخول.

- صباح الخير.

تمتمت بهذه العبارة وهي تتلفت يمنة ويسرة بدون ان تميز شيئاً بسبب اشعة الشمس التي غمرت الغرفة وبهرت بصرها.

- انتظري لحظة.

وسمعت صوت سحب ستارة، استطاعت بعدها ان ترى محدثها:

- هكذا افضل اليس كذلك في بعض الفترات من السنة تصبح الشمس عائقاً حقيقياً في هذه الغرفة...

جلست جين على المقعد الذي اشار اليه شارل ونظرت الى المكتب الفخم الذي يجلس وراءه والذي يدل على ذوق رفيع.

- طلبت الي ان احضر هذا الصباح. هه

وسقالت هذه الجملة لكي تخترق الصمت الذي بدأ يثقل عليها. أجاب وكأنه لا يراها:

- نعم... باختصار هناك خبر جديد سأقوله ولكني اخاف من ان يكون سيئاً بالنسبة اليك...

- خبر سيء؟

تماسكت جين، من المستحيل ان يكون جورج قد اكتشف مكانها... إذن؟ عبست وغامت عيناها الخضراوان وتساءلت اذا كان سيرهقها طويلاً على هذا الشكل.

- اعتقد انك كنت تعملين في مكتب، هذا ما قلته لي.

- نعم.

ولكنها لا ترى الى اين يريد ان يصل، وشعرت بالغيظ من هذه الغطرسة وهذا التصرف، ولكنها لن تسمح له باهانتها.

- انه بخصوص سكرتيرتي الآنسة ليديا كليفك، لقد نقلت الى المستشفى هذا الصباح في حالة مستعجلة، وستخضع لجراحة، ومن المؤكد ان هذا محزن بالنسبة اليها اما بالنسبة الي فإن غيابها سيسبب الكثير من المشاكل لأن الأعمال الادارية في مؤسسة كهذه تأخذ حيزاً كبيراً، ليديا هي التي تهتم بكل ذلك، لذا اسألك اذا كنت تستطيعين ان تحلي محلها اثناء غيابها.

تسمرت جين في مكانها من هذا الاقتراح، جاءت الى هنا على امل ان تعيش في الريف، وتهيء نفسها لمهنة المستقبل وتحقق ذاتها من خلال تحقيق اهدافها وطموحها، وعندما لم تجب رفع شارل حاجبيه وقال:

- اعتقد بأنك لن تعترضي.

وكأنه يمن عليها باعطائها شرف الحلول محل ليديا. فأجابت وهي تكتم سخطها:

- الاقتراح بهذه الطريقة يا سيد غريرسون، اجد صعوبة في

رفضه، ولكنني شرحت لك سابقا كم كنت متضايقة من هذا العمل. ولذلك فأنا هنا.

اجابها بلهجة لطيفة:

- طبعاً طبعاً... لكنه لن يكون اسوأ من غسل الاطباق لماري او تنظيف الاصطبل، خاصة وان هذا العمل لن يستمر الا اسبوعاً او اثنين ريثما تعود ليديا...

واعتبر صمتها قبولاً والتفت الى قراءة الرسائل، وبدأت جين تراقبه، وشعرت بعدم الارتياح من فكرة ان تكون الى جانب هذا الرجل الرهيب يومياً في هذا المكتب، الذي سيمطرها بوابل من الاسئلة قد تشكل خطراً بالنسبة اليها مما يهدد بقاءها في هذا المكان. وعندما رفع عينيه احمرت جين من تأثير نظراته:

- انا آسفة يا سيد غريرسون من اجل الآنسة ليديا ولكن أليس من الأفضل ان تستدعي اخرى من احدى مؤسسات المنطقة؟

وبعد لحظة صمت اجاب شارل:

- ولماذا استدعي اخرى، اذا كان لدي سكرتيرة ذات خبرة، كما يبدو انك لا تعرفين قيمة نفسك، وانا متأكد من انك اهل لذلك، ان العمل غير معقد، في كل حال لا مجال للخيار.

انه يعاملها كالسيد المطلق، عليها ان تسمع وتطيع، وفي هذه اللحظة احست بالكراهية تجاهه، ولكن ماذا يمكنها ان

تفعل؟ فأجابته بلهجة باردة:

- آمل الا اخيب ظنك.

- ولماذا تخيبين ظني؟ انا لا اطلب الكمال، طلبت موظفة قادرة على مساعدتنا في تسيير امور العمل، وخبرتك في السكرتارية جعلتك جاهزة لتسلم هذا المنصب، فكل ما اطلبه ان تؤدي العمل على احسن ما يمكن حسب متطلباته ريثما تعود ليديا...

وبدون ان يترك لها الوقت لتجيب نظر الى ساعته، وتحرك من وراء المكتب، ولاحظ نظرة الاعجاب الموجهة اليه من جين وهي تتأمل شعره الأسود الذي يتوج جبهته، والرعشة التي اصابتها، لقد وقعت فريسة لمجموعة من الانفعالات المتناقضة، وفاجأها بقوله:

- ما رأيك في مرافقتي الى غرفة الطعام لتناول طعام الافطار، ليس ضرورياً ان تعودي الى المزرعة هذا الصباح، اما غداً فيكفيني ان تكوني هنا في التاسعة.

ولما نظرت جين الى نفسها شعرت بأن بنطال الجينز الذي لبسته هذا الصباح لتنظيف الاصطبل لم يكن لائقاً للعمل في المكتب.

- قد يكون من الأفضل لي ان اعود لكي ابدل ثيابي.

وعندما تحركت لتخرج اوقفها قائلاً بسخرية:

- يا لك من غبية، جربي اولاً ان تخلعي هذه القبعة وهذه

السترة... الا اذا كنت قد ولدت على هذا الشكل؟

احست جين بالاهانة وبحركة عصبية رفعت القبعة وانساب شعرها كالشلال الذهبي على كتفيها، ولم يستغرق شارل وقتاً طويلاً ليستعيد هدوءه بعد هذا التحدي الواضح في تصرف جين، ولم يدع الفرصة تفوته كالمعتاد فقال:

ـ آمل الا يكون مزاحك ممزوجاً على صورة شعرك... الآن فهمت موقف مارك.

ـ مارك... تريد ان تقول السيد فنويك.

حاول شارل ان يتجاهل الالتباس:

ـ مارك او السيد فنويك ليس هذا هو المهم، انه وكيل اعمالي، وبتحديد اكثر احاول ان اساعده في بناء شخصيته، واتمنى ان يسعفني الحظ بان اجعله يتخلى عن اللهو والضياع.

لم تفهم جين ماذا اراد ان يقول شارل... هل هذا تنبيه؟

واحمرت خجلاً وشعرت بانه يريد ازعاجها.

ـ لا اعرف السيد فنويك بشكل استطيع ان ابدي رأياً فيه.

همهم شارل وقد بدا عليه الشك وتوجه بثقته المعتادة نحو الباب واشار اليها ان تتبعه مشت جين مترنحة.

ان هذا الرجل اقوى مما كنت اظن، ولكن يجب الحد من هذه اللعبة.

ولكنها لم تكن متأكدة بانها تستطيع مقاومته وقتاً طويلاً، وامتلأت رعباً من فكرة العمل معه في المكتب وقالت:

يا الهي اجعل هذا الاسبوع يمر سريعاً.

وبعد ان اجتازا ممراً طويلاً، وصلا الى صالة واسعة شبه مهملة، تحتوي على قطع من الاثاث والسجاد الجميل ولكنها مرتبة بدون عناية، على العكس من صالة الطعام الصغيرة، والتي بدت اكثر جمالاً بطاولتها وكراسيها الزاهية، وشعرت جين بان هذا البيت تنقصه يد نسائية، ولكنها عندما نظرت الى الطاولة وجدتها محضرة لشخصين، ولأول مرة تساءلت فيما اذا كان شارل متزوجاً فقالت بتردد:

ـ هل ننتظر السيدة غريرسون قبل ان نبدأ؟

اجاب بابتسامة ساخرة وهو يجلس الى الطاولة:

ـ لا وجود للسيدة غريرسون، ولكن هذا الصحن خاص بالآنسة ليديا لانها تأخذ طعام الافطار هنا بسبب خروجها المبكر من بيتها.

احمرت جين وهي تجلس عندما تابع شارل:

ـ واذا اردت ان تعرفي المزيد... فانا لست ضد الزواج ولكن يجب ان تخصص للنساء الكثير من الاهتمام والوقت... ولا استطيع ذلك... على الأقل في الوقت الحاضر.

تجاهلت جين مزاح شارل وابتسمت ببرود قائلة:

ـ اذن انت من الذين يوجهون اهتمامهم الأكبر لعملهم، وليس لذواتهم.

ثم تابعت بخبث:

- يقولون. احياناً تكون المرأة مفيدة للرجل.

- عندما تكون لؤلؤة نادرة... وعلينا اكتشافها. ولكن الا يوجد شيء في الحياة غير الزواج؟ احمد الله لانني لست عاطفياً الى هذا الحد.

نظرت اليه جين بدهشة، يا له من رجل يفيض جاذبية وسحراً، ولكن عليها ان تحترس امام هذه الجاذبية لأن شارل ما زال غامضاً بالنسبة اليها. ولحسن الحظ فإن وصول ماري حاملة الخبز والقهوة بدد بقية الكلام وتساءلت وهي تتأمل الادوات الفضية، لماذا اقترح ان تشاركه طعام الافطار؟ هذا السؤال حيرها وهي تراقب شارل يقرأ جريدته الصباحية، ان دعوته لموظفته يشكل احتقاراً للتقاليد والاعراف السائدة، ولا بد انها ستكتشف سر ذلك في يوم ما.

كانت جين تقضي معظم وقتها في المكتب ولا تعود الى المنزل الا لتناول طعام الغداء، اما عن اعمال المكتب فإنها وجدت بعض الصعوبات في البداية، نظراً للسرعة التي يتطلبها العمل... وبعد ان شرح لها كل الأعمال الادارية الخاصة بالمزرعة، احست بنوع من الجو العائلي وخاصة بعد ان اعتمد عليها كلية اثناء غيابه... وكانت تقوم بعملها على احسن وجه ولكنها كانت قلقة في الوقت نفسه من ان تتأخر ليديا عن الالتحاق بعملها. ليست لديها اي رغبة في ان تمضي حياتها في

هذا المكتب، رغم ان العمل بحد ذاته لم يكن معقداً، و تركت كل شيء منظماً، وهذا ما اثار اعجابها، وكان شارل راضياً عن عملها معجباً بقدراتها. وقبل تناول طعام الغداء، اعطاها شارل بعض التعليمات التي تتعلق بالجياد... وطلب اليها العودة صباح الغد لأنه سيتغيب بقية النهار ولم يحدد موعد عودته وعرض ان يوصلها الى المزرعة... وتبينت من اناقة ملابسه انه ذاهب الى المدينة وبينما كان يفتح لها الباب قال:

- مارك... يمكن ان يساعدك في معرفة ما تريدين، وان كنت متأكداً من انك تتدبرين امورك بشكل جيد، ولكن اياك والمخاطرة في امتطاء هاموند... وقد اعذر من انذر.

احمر وجه جين غضباً لأنها لم تفكر بامتطاء هاموند، فعلى اي اساس يعاملها بهذا الشكل، في كل حال لديها ما يكفيها من عمل مع بقية الجياد، وان كانت غير مقتنعة بانها لا تقوى على امتطاء هاموند

وعندما دخلت المنزل وجدت ماري ومارك، وقامت ماري قائلة:

- سأحضر لك طعامك في دقائق... فأنا اعرف كم انت متعبة اليوم، نحن جميعاً نشعر بالحزن من اجل ليديا، ونتمنى عودتها بالسلامة، وعلمت بان كل شيء على ما يرام بعد العملية لأنني اتصلت منذ قليل بالمستشفى... وكما قلت لمارك بأن شارل محظوظ لانك استطعت ان تنوبي عنها بالعمل مما

خفف هموم شارل.

ابتسمت جين لماري والتفتت الى مارك الذي كان حزيناً مهموماً.. وما كادت ماري تخرج من المطبخ، حتى خرج عن صمته قائلاً:

- شارل ذهب الى المستشفى على ما اعتقد؟

بقيت جين صامتة للحظات وهي تفكر: ما هذه العلاقة الأسرية التي تجعلنا نتحدث بهذا الشكل عن سيد هاي لنتون. واجابت:

- اذا كان السيد غريبرسون هو المقصود، فإنه لم يعطني اية معلومات بهذا الخصوص، وانا لا اسمح لنفسي ان اطرح عليه مثل هذه الاسئلة.

نظر اليها مارك بدهشة وقال:

- نعم ان السيد غريبرسون هو المقصود.

قال هذه الجملة بتشدق وهو يضيف:

- لا ضرورة لاتخاذ هذا المنظر المبالغ فيه. فانا ارى بوضوح اللعبة، وانت متعجلة لأخذ مكان ليديا.

لم تصدق جين اذنيها وارغمت نفسها ان تحافظ على هدوئها:

- مارك... عليك ان تعرف جيداً بأنني لن احتل مكان احد، وليديا ستعود الى عملها، وهذا ما اتمناه.

وتطايرت شرارات الغضب من عيني جين الخضراوين، وقالت لنفسها، ليفكر كما يريد وساسخر منه. وذهبت لتغسل

يديها وساورها شك مرعب، الم تتحدث بقسوة مع مارك، انه وكيل اعمال هذه المؤسسة ويستطيع ان يطردها اذا شاء. ولكن لماذا لا ينصح سيد هاي ليتون وكيل اعماله بأن يبحث عن عمل آخر طالما ان الأمور بينهما ليست على ما يرام، ثم قالت لنفسها وهي تجفف يديها:

- ولكن معرفتي للأمور غير كافية لتشكيل فكرة واضحة وعملية للموقف ولنترك هذا للزمن.

وبعد ان عادت لتناول طعامها شعرت بالارتياح بعد ان غادر مارك المكان... ثم عرضت على ماري ان تساعدها في غسل الصحون بعد الغداء قبل ان تذهب الى الاصطبل.

واستقبلت ماري هذا العرض بسرور لأنه يتيح لها ان تستكمل صنع الحلوى التي امامها:

- لن انسى لك هذه المودة... وساشرح لك كيفية استعمال جهاز غسل الصحون..

- آه... هذا عظيم... سأتدبر الأمر، انه تماماً كالذي لدينا في المنزل.

وانتبهت بأن هذه الجملة قد افلتت منها بعفوية وردت ماري:

- لا شك ان عائلتكم كبيرة.

تضايقت جين وبدأت تضع الصحون في الجهاز وهي تبحث عن حجة تزيل بها شكوك ماري:

- لا ابداً... اذكر ان والدتي اشترتها بالرخصة.

- بالتأكيد... من لا تمتلك هذه الاجهزة في يومنا هذا؟ انها لم تعد غالية ولحسن الحظ.

ثم اضافت:

- هيلدا ديك هي التي تهتم عادة بغسل الصحون، ولكنها ذهبت الى السوق، اما بيل كلارك الذي يساعدنا في اوقات فراغه، فقد ذهب لحضور زواج اخته كما تعلمين.

قالت جين بصوت متردد:

- آمل ان تعود ليديا بسرعة... إن السيد غريرسون حدثني عنها هذا الصباح.

ردت ماري بعفوية شديدة:

- ولو سمعته يتحدث عنك...

عضت ماري على شفتها كطفلة صغيرة بعد هذه الجملة واضافت:

- لا تعيري انتباهاً لما قلت يا عزيزتي... ان ليديا فتاة جيدة ولا يجوز ان اقول ذلك عنها، فهي صديقة قديمة جداً للعائلة.

احتارت جين وتساءلت، ما هو السر الذي افشته ماري حتى ارتبكت، ولكي تطمئن ماري ابتسمت بلطف وقالت:

- هذا غريب كنت اتخيل ان ليديا...

- انها كذلك، لا اعني انها عجوز، انها تقارب مارك في العمر وهي في السادسة والعشرين، ولكن فيما مضى كان

والدها وكيل اعمال السيد غريرسون والد شارل.

- إذن ليديا كانت تعيش مع عائلتها هنا؟

- في البداية نعم، ولكن بعد ان قتل والدها بحادث في المؤسسة، ذهبت امها الى هكسهام عند اختها، وفضلت ان تعيش هناك وبالتالي لحقتها ليديا.

- اذن عليها ان تقطع كل صباح هذه المسافة الطويلة لتلتحق بعملها هنا!

وهنا تذكرت جين بأن ليديا تتناول طعام الافطار مع شارل.

- ولذلك تدارك الأمر والد شارل واشترى لها سيارة صغيرة، ان ليديا مقتدرة ولا تخاف من الأعمال الصعبة، وعليها الكثير من العمل هنا، خاصة بعد ان اخذ شارل مكان والده في ادارة الأمور بعد وفاته.

واغلقت جين باب جهاز الجلي وهي مغتمة، لأنها شعرت بان هناك شيئاً وراء حماس ماري في ايصال هذه المعلومات اليها، فتابعت بحذر:

- افهم من ذلك ان ليديا والسيد شارل قد شبا معاً.

- لا ابداً، فإن شارل يكبر ليديا بعشر سنوات، وعاش بعيداً عن المزرعة، لمتابعة دروسه في المدرسة ومن ثم في الجامعة، ولكن لديه احساس بالواجب تجاه عائلة ليديا، بعد الحادث المفاجيء الذي وقع للأب.

شعرت جين بان فضولها سوف يتزايد مع مرور الأيام،

وفوجئت بانها بدأت تتذوق حياتها الجديدة، وان معمل ابيها اصبح بعيداً عن تفكيرها، ولكنها بطريقة ما اشتاقت الى اهلها وخاصة الى امها، وهذا ما جعلها تتصل بأخيها كما وعدته، واجابت زوجته، جيلي، الماهرة في اختلاق القصص والاخبار، والتي انفجرت غضباً ضد جين.

وحاولت جين ان تحد هذا السيل من الاحتجاج مدعية بوجود تشويش في الخط...

هي الأخرى لا يمكنها ان تفهم جيل ولذلك قررت الا تتصل بهم الا بعد عودة والدها الذي سينشغل عن غياب ابنته باعماله الكثيرة، وحتى ذلك الحين تكون قد اكتشفت نفسها وقدراتها في هذا العمل وكيفية الاستمرار له... والاسرار الكثيرة الاخرى التي تود اكتشافها لارضاء فضولها.

وفي اليوم التالي فوجئت بشارل في المكتب وكان يفيض حيوية ونشاطاً وبادرها:

- صباح الخير... انت متأخرة هذا الصباح يا جين، ولكن سأسامحك اذا شرحت لي ما الذي تم بشأن العلف الذي طلبناه منذ عشرة ايام، كان عليك ان تتصلي البارحة بشركة برايسون وعلمت من جان ديك انه لم يستلم شيئاً حتى الآن؟

- آسفة... لقد تركت ورقة على المكتب بهذا الخصوص.

وتابعت بعصبية:

- في كل حال، الشركة الغت هذا الطلب وتم توزيعه الى زبون آخر، واذا كنت تريد تجديد الطلب فانهم لا يستطيعون ان يعدوا بتاريخ توزيعه.

وضرب شارل بقبضة يده على المكتب مما جعل جين تقفز عن كرسيها وقال:

- ولكن اي شيطان استطاع ان يلغي هذا الطلب... كيف ومتى... الم يشرحوا لك ذلك؟

- منذ حوالى اسبوع.

كان شارل يشتعل غضباً عندما صرخ:

- ارجو ان تكوني اكثر وضوحاً.

ولكن جين لم تخف من ثورة شارل وغضبه، فأجابت:

- لا اعرف اكثر من ذلك... ولكنني استطيع الاتصال بالشركة لتكشف لي اسم المسؤول عن الغاء الطلب.

- ليديا؟

ونظر اليها بتمعن، فردت:

- لا انه رجل ولكنني لم احصل على اسمه.

- حسناً اطلبي الرقم بسرعة.

- وما كادت تنهي الرقم الأخير حتى سحب السماعة من يدها:

- قسم توزيع الطلبات، لو سمحت.

واستغلت جين الفرصة وتوجهت الى النافذة، ان غضب شارل اثار اعجابها، وفكرت بالشخص الذي كان على الطرف

الآخر من الخط، وبصوت شارل الذي يدوي في ارجاء الغرفة، وبعد ان وضع السماعة توجه اليها قائلاً:
- لا ادري اذا كان يجب ان اعذرك... فإن الذي الغى الطلب هو مارك.

٤ - لا تعرف الكذب!

وثارت ثائرتها من هذه الشتيمة والاهانة فنهضت وقالت:
- لن ابقى دقيقة واحدة بعد الآن في هذا البيت.
شدها من ذراعها واجبرها على الجلوس قائلاً:
- هذا تمرد، وستبقين هنا وانا الذي اقرر الى متى.
واشتعلت جين غضباً امام هذا التهديد.

اندهشت جين وقالت في نفسها: لا بد ان هناك خطأ ما.
وحاولت ان تعود بذاكرتها الى الوراء، ولكن مارك لم يتحدث ابداً عن هذا الطلب. والقت بنفسها على كرسي المكتب بينما كان يتطاير الغضب من نظرات شارل واخيراً قال:

- من المؤكد أن هناك خطأ، ولا بدّ ان يكون مارك قد حدّثك عن هذا الطلب.

- لا أبداً، ولا أظن أنّ هناك فائدة من التأكيد على ذلك يا جين.

وهكذا رأت جين نفسها تدافع عن مارك بصورة عفوية عندما أضافت:

- قد يكون جان ديك هو الذي طلب منه ذلك.

- لا... لا أعتقد.

قال شارل هذه الجملة الاخيرة، وهو يجلس على حافة المكتب، وقد بدأت نظرته وتقاطيع وجهه تأخذ مظهراً اكثر عنفاً وسخطاً. وأطرقت جين رأسها إلى الارض وحاولت أن تتماسك عندما قالت:

- إذا كان جان ديك ليس الفاعل، فبالتأكيد هناك شخص من المكتب، قد تكون ليديا هي التي الغته بطريق الغلط.

واضافت بحذر:

- وانا ارى ان تعطي مارك فرصة اكبر لتحمل المسؤوليات، والرأيان دائماً افضل من الرأي الواحد، وما حدث اكبر دليل على ذلك.

ولكن عندما رأت شارل وقد تقلصت اسارير وجهه وشد قبضة يده وكاد يصرخ...

شعرت بأنها لم تختر اللحظة المناسبة لابداء رأيها، ولكنها لم تكن تتصور بأن شارل يمكن ان يصل الى هذه الدرجة من العنف والانفعال، لدرجة انها تصورت بأنه سيضربها.

- مارك!

قالها وهو يشدد على كل حرف.

- سيتحمل المسؤولية عندما يبرهن انه قادر على تحملها، وليس لأنك يا آنستي العزيزة تدافعين عنه. واذا كان سيتابع على

هذا المنوال فللأسف لن يكون له مستقبل هنا، واعتقد انك تضيعين وقتك انت الاخرى بالدفاع عنه.

وهنا تقوقعت جين على نفسها داخل كرسيها، بينما توجه شارل الى مكتبه وسحب بعض الفواتير من الدرج وبدأ يدقق بها، واخيراً استجمعت جين قواها بعد الرعشة التي اصابتها من الخوف وقالت:

ـ اتصلت البارحة سكرتيرة السيد فوكس وقالت، بأن هناك خطأ ما بسبب الاضافة التي جاءت على الفواتير من اجل تلقيح الحيوانات وتقترح تسديدها في المرة التالية.

وعندما حل موعد شرب القهوة الصباحية لم تكن جين قد وجدت الوسيلة التي تستطيع ان تهدىء بها السيد غوبرسون الجالس امامها، وبعد ان شعر شارل بوطأة الصمت قال مبتسماً:

ـ انا سعيد بأن اراك تتأقلمين مع حياتك الجديدة، واعتقد بأنك اخبرت اهلك بذلك.

الجملة الأخيرة جعلت جين تأخذ حذرها، وتساءل اذا كانت لديه اي شكوك حول هذا الموضوع، فأجابت:

ـ طبيعي.. ولكنهم الآن في كندا.. لأن عمل ابي يضطره الى التنقل المستمر

وبعد ان فوجىء شارل بالاجابة، اندهشت هي اكثر من البساطة التي صرحت بها بالحقيقة فأضافت فوراً:

ـ هذا يتوقف على الورشة التي يعمل بها.

وعاد الخوف والقلق الى قلب جين وتساءلت الى اين سيتابع بأسئلته ولكن شارل قال:

ـ منذ اسابيع كنت في كندا.

ـ واعتقد ان مارك تولى ادارة الأمور بشكل حسن اثناء غيابك.

وعندما تجمدت الابتسامة على وجه شارل، شعرت بأنها تتكلم بعفوية وتندم بعدها.

سيما عندما قال:

ـ الا تعتقدين بانك بالغت في مديح مارك يا جين؟

تلعثمت جين بالرد:

ـ آسفة.. لا اريد ان اتدخل في هذا الموضوع

نهض شارل بخفة وهو يجيب:

ـ اذا كان [illegible] يريد ان يعاكس التيار، فعليه ان يتعلم كيف يقاوم.

وفي اليوم نفسه بعد العشاء طلب اليها مارك ان تحضر الى مكتبه للحظات وبدأ حديثه بدون مقدمات:

ـ ها انذا في ورطة اخرى يا جين، فالأمور ليست على ما يرام بيني وبين شارل، لا بد انك علمت بما حصل واود ان تعرفي بأن ليديا لا علاقة لها اطلاقاً بهذه القصة.

ـ انا متأكدة من صدقك يا مارك ولكنني افضل بالا تناقش

حول هذا الموضوع.

وكانت هذه هي المرة الأولى التي تناديه باسمه بعد ان الح عليها بالا تناديه بالسيد فنويك، وبينما كان مارك يمشي امام الموقد جيئة وذهاباً قال:

- من المؤكد يا جين ان نظرتنا الى الأمور ليست واحدة، في الحقيقة انا احب ليديا انها فتاة رائعة، صدقيني، واتمنى ان تحتفظ بوظيفتها، ماري اخبرتني عن مهارتك في عمل المكتب.

- هذا اذن ما يقلقك بالدرجة الأولى، وانني لمستغربة كيف تستطيع ماري ان تحكم على امكانياتي مع اننا نادراً ما تكلمنا حول عمل المكتب.

- قد يكون من خلال شارل.

- انت تعرف كما يعرف الجميع يا مارك، بأنني لم آتِ الى هنا من اجل العمل المكتبي.

- اعذريني يا جين، ولا تعامليني كشخص غير متوازن، وان كنت اتساءل احياناً لماذا اصل الى هذه الحالة عندما يحاول شارل ان يخرجني عن طوري؟ ولكن في كل حال بما ان ليديا لم تصرح حتى الآن من منا تفضل، فأنا لا استطيع ان افكر بالمستقبل بشكل جدي.

وكان لسان جين قد انعقد من الانفعال وتلعثمت عندما ارادت ان تقول:

- انت تريد ان تقول ان شارل وليديا؟

فالتفت مارك نحو النار واجاب:

- في الحقيقة انا لم اعد افهم شيئاً، لقد ازداد اهتمامه بها منذ دخولها المستشفى. فكل يوم يذهب لزيارتها، حاملاً اليها الورد، ماذا تريدين بعد ذلك؟ كل الاوراق الرابحة بين يديه، فأي فتاة لا تحلم بأن تكون سيدة هاي ليتون؟ ولا نستطيع ان نلوم ليديا اذا كان هذا الموضوع يراود مخيلتها، ومن ناحية اخرى فهناك شارل الذي يشجعها احياناً على ذلك.

تقبلت جين الموقف بحزن وهي تتأمل النار المشتعلة، كيف يمكنها ان تنسى بانها هي التي قامت بطلب الزهور مرتين بناء على طلب شارل، وهي التي رأت علبة السكاكر التي يحملها تحت ابطه وهو ذاهب الى ليديا، ولكن كيف يمكنها ان تقول ذلك لمارك. فابتسمت وكأنها تريد ان تطمئنه قائلة:

- اذا كانت ليديا تحبك فلن تفكر في شخص آخر، واذا لم يكن كذلك، فلماذا تريد ان تحاسبها! انها السكرتيرة الخاصة لشارل ومن الطبيعي ان يكن لها الاحترام ويهتم بها وهي تبادله الشعور نفسه.

وبمرارة الفجر مارك ضاحكاً:

- اريد ان اصدقك ولكن حبي لليديا ليس وليد البارحة، وشارل لا يجهل مشاعري تجاهها، ويبدو ان ليديا ليست مؤهلة لتسريع الأمور وحسم الموقف. هل تفهمين الآن، لماذا اريد الانتقام بكل الوسائل.

قالت جين بهدوء:

- استطيع ان افهم الآن لماذا الغي طلب السيد غريسون.

اجاب مارك بسرعة:

- في رأيي ان الخطأ تتحمله سكرتيرة السيد غريبسون التي الغت هذا الطلب عوضاً عن طلب اخر، كان علي ان اكون اكثر دقة انا بدوري، ولكنني كنت في غاية الاستعجال لالتحق بليديا التي كانت في الطريق الى المستشفى، ويبدو انني اعطيت رقم السند بشكل مغلوط، كما شرحت لشارل، ولو كانت ليديا موجودة لما حصل كل ذلك.

القت جين نظرة الى ساعتها واعتذرت مدعية بأن لديها كثيراً من الأعمال للغد فقال مارك:

- حسناً ولكنني اتساءل اذا كنت ستقبلين دعوتي ذات مساء بأن نتناول طعام العشاء وحيدين في مكان ما. وستقولين لي اذا ما كنت على حق.

ابتسمت جين وقالت لنفسها انه يحتاج لشيء من النضوج رغم سنه ثم قالت لمارك بسخرية:

- اعتقد بأن رغبتك تكمن في اثارة غيرة ليديا اكثر من رغبتك في الخروج معي. اذن لماذا لا تنتظر تطور الأمور؟

اشرق وجه مارك بابتسامة عريضة واجاب:

- ولكن من المؤكد يا عزيزتي جين، وان كان لا يفوتك شيء، انك ساحرة وجذابة ومعظم الرجال يحلمون بمغازلتك

حتى وان كنت مصرة على ان يكون شعرك مشدوداً بهذه الطريقة.

وقطبت جين حاجبيها باستهجان قائلة:

- حسناً لنؤجل هذه الدعوة لوقت آخر ريثما نتعرف الى بعض بشكل افضل.

وبعد ان وضعت يدها على قبضة الباب اضافت:

- لو كنت مكانك يا مارك لضاعفت اهتمامي بليديا لأن السيد شارل ليس الشخص الوحيد المسموح له بزيارتها، ومن يدري فقد لا تنتظر هي الا ان تشجعها انت في حسم الموقف.

وبدون ان تنتظر رد فعل مارك خرجت واغلقت وراءها بهدوء. وبعد عدة اسابيع خرجت جين مع شارل في جولة على الجياد بين الحقول وكان الطقس منعشاً. انها الفترة التي تسبق حلول الشتاء، وكل ما تبقى من مزروعات قد غاص تحت ضربات المحراث التي لا ترحم، وها هي الأرض المحروثة تنتظر تلقي البذور الجديدة، وطيور النورس بدأت ترحل وعن قريب سيغطي الثلج هذه المساحات الشاسعة من الأرض.

وها هو هاموند الحصان الاسود الجميل يستعيد مجده مع صاحبه شارل ويثب بين الحقول والهضاب. قطعان الماشية تجول في الحقول، وجين تستسلم تماماً لنشوة احساسها ببرودة الهواء على وجهها، واحمرار خديها وتطاير شعرها. وبعد ان

اوقف شارل حصانه على رأس التلة مشرفاً على وادي التاين قال:

- لا يوجد اجمل من هذا المكان، في هذه الفترة من السنة.

اكتفت جين بهز رأسها تعبيراً عن سعادتها، لأن جمال المنظر جعلها غير قادرة على الكلام. في الشمال الجدار الروماني الشهير منذ عصر الامبراطور ادريان، المنتصب على الحدود الاسكتلندية. وفي الجنوب وادي التاين الذي يتلوى بعظمته بين الغابات. ثم تابع شارل:

- يعود تاريخ هذه المنطقة الى القرون الوسطى، ولكن قد لا يعجبك مثل هذا الموضوع.

- على العكس فالتاريخ يهمني جداً وآمل ان اتعرف جيداً الى المنطقة مستفيدة من اقامتي فيها، واعتقد بأن الملكة قد جاءت منذ فترة قريبة الى هذه المنطقة لزيارة دير هكسهام.

- صحيح ففي الصيف الماضي احتفل الكاهن بالعيد الثالث عشر بعد المائة لبناء هذا الدير.

- يبدو ان لديك معلومات مهمة عن التاريخ المحلي للمنطقة.

- لا، ليس هذا كافياً يجب ان نعرف كل شيء عن المنطقة التي نعيش فيها، الماضي هو تراث الأمة، ونحن نملك اقدم قصر في كل انكلترا، ولكن السياح الذين يرتادون المنطقة يذهبون لزيارة الحصون الرومانية ولا اعرف ما السبب في ذلك.

- انها الدعاية بدون شك.

وسرحت بنظرها الى الافق حيث يقوم الجدار وقالت:

- انني لاتذكر كم من الشعراء تغنوا بها.

وفوجئت به يتمتم:

- هكذا اذن، لقد بنوها حجراً حجراً وعلى الطراز الرومانسي الصرف، وها نحن لا نزال نكتشف الاحجار المكسورة المرمية في النهر، عندما هبط مستوى مجراه في احد اشهر آب الحارة.

واخيراً عاد الى نبرة السخرية قائلاً:

- هل تعرفين شاعركم كيبلنغ؟

- بعض الشيء، وهذا ما يرعبني لأنني لم اقرأ الشعر منذ ايام الثانوية، مع انني كنت معجبة جداً باعماله واراها رومانسية جداً، ولكن في سن السابعة عشرة، ما الذي لا نراه رومانسياً؟

كتم شارل ضحكته لهذه الجملة التي صدرت من جين، ابنة الواحد والعشرين عاماً، وبعد ان ركز نظره نحوها قال:

- ما الذي جعلك تفقدين احلامك؟

كيف يمكنها ان تقول له بأن الحاضر هو الذي يقلقها وليس الماضي؟

- مثل كل الطالبات مررت بتجربة الحب مرتين او ثلاث واكتشفت بأنها لم تكن على جانب من الأهمية.

وانحنت جين لتداعب عنق الحصان، ليتون ليد، الذي يعرف كيف يتجاوب مع اقل حركة من فارسه، تابع شارل:

- والسنوات التي تلتها؟

واحمرت جين وشعرت بأن شارل يشك بأنها تخفي عنه شيئاً فأجابت:

- ولماذا هذا الالحاح؟

- مجرد فضول.

- بعدها تعرضت لعديد من المغازلات، هذا كل ما في الأمر.

واحست بالغضب عندما رأت نظراته المتفحصة وفرحه باضطرابها وقالت محدثة نفسها:

- يا له من متكبر معتد بنفسه، فهل ينتظر مني ان اكاشفه بأسراري واعترف بانني لم اعرف معنى الحب... وبالتالي يسخر مني، وبالتأكيد فان ليديا تثير اهتمامه اكثر مني.. وشدت بأصابعها على اللجام عندما بادرها بالسؤال:

- لكن اين تلقيت علومك؟

ومن هول المفاجأة لم تفكر بالكذب فأجابت فوراً:

- في مدرسة ساري.

- لكنني اعتقدت بأنك تسكنين برادفورد فهل كان اهلك يريدون التخلص منك؟

وجاء صوت شارل ناعماً مما فاجأ جين التي تنهدت بعمق قبل ان تجيب:

- لا ابداً، لا يمكن ان اسيء الظن بهم.

وادركت انه يراقبها بدقة، فتهيأت لتهمز الحصان ليثب بها واذ بيده تشد ذراعها:

- هل انت خجولة يا جين! كثير من الناس لم يعرف عاطفة الأهل، هل لديك اخبار عنهم.

- لا ... ليس بعد.

وبتشديدها على الحروف ظنت انها تستطيع ان تخفي الحقيقة وتهرب من نظرات شارل ولكنه تابع مستفسراً:

- اليس لديك اقرباء آخرون في هذا البلد؟

- نعم عندي اخ.

ورأى شارل ان وجه جين خال من اي تعبير فتابع:

- اخ؟ اين يسكن؟ لم تحدثيني عنه اطلاقاً.

- لأنك لم تطلب مني ذلك، انه يعمل في مصنع.

وشعرت بحرارة يده الناعمة على ذراعها الذي لا يزال ممسكاً به، فخفق قلبها وصرخت:

- اخي يسكن برادفورد واذا كنت تريد ان تستعلم اكثر فنحن متفاهمون وعلاقتنا جيدة. ضاعت الكلمات الأخيرة مع انطلاقة الحصان الذي نزل الهضبة وجمح كالهواء، ولم يعد بالامكان تخفيف سرعته، وازدادت نشوتها عندما اصبحت مع الحصان كالجسم الواحد، والقت وراءها خوفها من شارل، لماذا يريدها ان توضح له اسباب مجيئها الى هنا، فلن يفهم ذلك ولن يفهم الشعور الذي احسته لأول مرة بحريتها!

وعندما حاولت مع حصانها اجتياز الحاجز سقطت على الارض بين ارجل الفرس، ولكن مرونة جسمها ساعدتها على الوقوف فوراً بدون ان تصاب بأذى، ولكنها كانت خائفة على الفرس فأمسكت باللجام، ومررت يدها بهدوء على عنقه وقبل ان تبدأ بفحصه كان شارل الى جانبها، وقد ظهر القلق على وجهه عندما سألها:

- هل انت بخير؟

- نعم، ولكني لا ازال تحت تأثير الصدمة، وخائفة على الحصان، هل تسمح بأن تلقي نظرة عليه؟

وبعد ان تأكد أن جين بخير توجه الى الفرس وجعله يمشي بضعة خطوات ليتأكد من انه لا يعرج، قال:

- ليس هناك ما يقلق ولكن ما الذي دفعك الى ذلك؟ كدت تكسرين ظهرك.

وشعرت بنظراته تسيطر عليها، فارتجفت ولكنها كانت

تعرف بأنها تستحق هذا التأنيب لأنها ارادت الهرب منه ولكنها عرضت حياة الفرس للخطر.

- انا آسفة... آسفة فعلاً.

- من الأفضل ان تذهبي، وسأحضر العربة لأنقل الفرس عليها بانتظار البيطري. جلست ليلاً قرب النار مع ماري التي تحيك الصوف، وفي العاشرة رمت الصوف من يدها وبدأت بالتثاؤب.

- سآخذ فنجاناً من الشاي، واذهب للنوم، ويبدو ان مارك كعادته سيعود متأخراً ولا اريد انتظاره.

فأسرعت جين لاحضار الشاي، وعاد مارك من السهرة مع ليديا وامها، وكانت ليديا في هذه الفترة تخرج مع مارك كما تخرج مع شارل، ولكن جين تجنبت الحديث في هذا الموضوع الذي لا يعنيها، كما لا يعنيها العمل في المكتب. كل ما يؤرقها هو عملها الى جانب شارل الذي تعتبره عذاباً في كل لحظة، وبعد ان حملت الشاي الى ماري قالت:

- سأذهب لاطمئن عن ليتون ليد.

وبعد ان رأت ماري قلقها اجابت:

- نسيت ان اقول لك بأن السيد شارل قد مر الى هنا بعد ذهاب البيطري، وقال ان الحصان بخير ويمكن ركوبه غداً صباحاً ولا ضرورة للقلق.

- انا لست قلقة ولكني اشعر بشيء من المسؤولية، وقد

تنعشني برودة الهواء.

- كما تريدين، فأنا ذاهبة لأنام، ومن الأفضل ان تفعلي الشيء نفسه.

ابتسمت جين وقالت:

- لا تقلقي واعدك بأنني لن اتأخر.

وخرجت، اما ماري فقد تنهدت وقالت:

- انتم يا عشاق الخيل، كلكم على هذا المنوال.

وفي الخارج كان الظلام مخيفاً، تقدمت جين بحذر الى الطريق المؤدي الى الاصطبل وشعرت بقشعريرة البرد بعد الدفء الذي كان في الداخل، ونتيجة للسرعة التي خرجت بها لم تفكر ان تضع عليها ما يقيها البرد، وبيد مرتجفة اخذت تبحث عن زر الكهرباء وعندما انبثق النور فجأة، اثرت الأحصنة التي كانت جالسة بارتياح والتفت نحو القادم اليها صهل هاموند واجابته جنيفر.

وقدمت لهم جين قطع السكر التي كانت تحملها كالعادة، ثم دخلت الى ليتون ليد وبدأت تحادثها بلطف ورفعت قائمتها لتتأكد من انها لا تؤلمها واستسلمت الفرس لفحوصاتها، ثم همست لها:

- حسناً، انت سليمة ولكن يبدو اننا نحن الاثنان مجنونتان هذه هي الحقيقة. هزت الفرس عنقها وكأنها فهمت، واسرعت بتناول قطعة السكر، ثم تابعت جين مرورها على بقية الأحصنة

مستكملة توزيع قطع السكر ومداعبة الجميع، وفرحت بسلامة ليتون ليد، وعندما صهل هاموند ارتعشت لأنها عرفت بأنه لمح وجود احد على مدخل الاصطبل، انه شارل انقطع نفسها من شدة الانفعال عندما تقدم نحوها، هي التي اعتقدت بأنه عاد الى القصر منذ فترة طويلة.

٥ - هدية مرفوضة

احس شارل بالاضطراب الذي بدا على وجه جين لدى ظهوره المفاجيء، ولكي لا يترك لها مجالاً للظنون قال:

- كنت متأكداً من انك انت التي في الاصطبل، فمن سيأتي في ساعة كهذه سواك، الم تقل لك ماري ان الفرس بخير؟

- نعم، ولكنني عرفت بأنك عدت الى القصر؟

- كان علي ان اتكلم مع جان ديك في موضوع مستعجل، وكذلك مع مارك ولكني لم اجده.

- لقد خرج مع ليديا..

وعضت على شفتها بعد ان قالت جملتها بعفوية وخافت ان تثير غضبه، فتوجهت نحو باب الخروج عندها اجاب شارل

بلامبالاة:

- يستطيع مارك ان يخرج مع من يشاء، ولكن للأسف لا يتواجد كثيراً في المنزل وهذا ليس لصالحه.

- اتريده بعد يوم عمل كامل الا يروح عن نفسه قليلاً؟

- يوم عمل، هذه اذن نظرتك الي..

قالها بسخرية مضيفاً:

- اتساءل احياناً يا عزيزتي جين ما هي النتائج التي توصلت اليها في تحليلي؟

- لا شيء... لماذا؟

وظهر عليه الانزعاج ولكنه فرح باضطرابها وقال:

- بالمناسبة انا ايضاً احب فترات الراحة.

انها تعرف ذلك تماماً وما عليها الا ان تتذكر الاهتمام الذي احاط به ليديا. وفي هذه اللحظة ضرب الفرس بقائمته على خشب الاصطبل... فقالت جين بسرعة:

- جئت لاطمئن عن ليتون ليد وسررت لاهتمامك بها، ولكن ذلك لم يمنعني من القلق عليها، لأنني لا احتمل آلام الحيوان.

- حسناً ولكن لا مبرر لهذا القلق، لأنني تأكدت من سلامتها، فالخيول غالية الثمن وعلينا الاهتمام بها.

وشعرت جين بان شارل يبقى دائماً السيد في كل الأحوال والظروف، وتجمدت عيناها على الفرس وهي تقول:

- اعرف ذلك، كنت احلم بناد للفروسية. ولكن للأسف لن اسمح لنفسي بأن اغامر اية مغامرة بهذا الخصوص.

- ما معنى هذا؟

وتوجه اليها بنظرة فاحصة. ولعنت جين نفسها لأنها افشت سرها بهذه البساطة.

- وهل رصدت المبلغ الأساسي؟

وفكرت في نفسها: يجب ان ابلغ الحادية والعشرين من العمر حتى استطيع ان احصل على ارث جدتي. لكنها اجابته:

- لا... فأنا لا املك ما اشتري به ذنب حصان.

- كل امرأة تحب الخيول تحلم بانشاء ناد للفروسية.

- انت مرتاح بعملك، لكن ان تدير مركزاً من هذا النوع، فهذا يتطلب الكثير من التفاني.

وشعرت بالتوتر لابتسامة شارل، انه كأنما ينظر اليها نظرته الى طفلة تحمل افكاراً مثالية وقالت:

- كل ما يهمني ان اتمتع بممارسة هذا العمل...

وتابعت بسخرية:

- وانا لست من اللواتي تحدثت عنهن...

اجاب بسخرية:

- حسناً يا آنسة براون، انا اقترح بأن تتزوجي صاحب اصطبل كبير.

وقالت جين بنفسها: «كل ما اتمناه ان امتلك الثقة بنفسي

مثله».

ونظرت اليه، ومن فتحة القميص رأت بشرته السمراء التي لا تزال متأثرة بحرارة شمس الصيف، وشعرت بشيء من الدوار، فاستندت الى الجدار، وقال:

- ها... ما رأيك في هذا الاقتراح؟

واقترب منها اكثر، وكان الظلام المخيم قد فرض نوعاً من التقارب في المكان وبجهد استطاعت جين ان تستعيد صوتها:

- لا اتذوق مثل هذا النوع من المزاح، ولكن نظراً لالحاحك اريدك ان تعرف انني افضل العدول عن طموحاتي من ان احققها بالزواج.

- لن تدعي بأنك لا تهتمين بالرجال؟

- وتستطيع ان تعكس السؤال وتتساءل هل الرجال مهتمون بي؟

ورفعت خصلة شعرها الى الوراء... وشعرت بأنها سيطرت على الموقف، خبرتها لم تكن محدودة ولكنها سطحية، فليبس فيليكس وحده هو الذي غازلها، اذن لماذا تخاف؟ هل سيختلف شارل عن غيره؟

- لماذا تنظرين اليّ بشك؟ عليك ان تعرفي بأنك مغرية جداً.

وشاهدت الاعجاب مرسوماً في عينيه، ثم اضاف:

- ولكن لماذا لا تولين مظهرك قليلاً من العناية؟

كان شعرها مشدوداً الى الخلف ومربوطاً كذيل الحصان،

والتفتت الى الوراء لتهرب من نظراته ومن مواجهته، وقالت:
- ربما، ولكن هل هذا خطأ مني؟ يبدو اننا ابتعدنا عن الموضوع، وانا لم آت الى هنا لأجيب على تساؤلاتك حول حياتي الشخصية، ولكنني جئت للاطمئنان عن الفرس، هل تسمح لي بالمرور لأعود الى المنزل؟
ورفعت وجهها الى الأعلى باعتزاز فبرزت طبيعتها الارستقراطية، وحاولت ان تهرب من امامه.
- لا ازال اتصور بأن الجميع كانوا يخضعون لأوامرك.
احمرت جين ولم تعرف بم تجيب، ربما يريد ان يمازحها ولكن كيف لها ان تعرف ذلك...
ولذا عليها ان تكون حذرة. وشعرت بأنها لن تستطيع ان تقف امام هذا الرجل.
- اود ان اذكرك بشيء واحد، قرأت الاعلان وبما انني احب الخيل، اعجبني العمل هنا وهذا هو الموضوع بكل بساطة.
- ولكن الغريب يا جين بأنك تجيدين القيام بكثير من الأعمال...
- لندع هذه المناقشة غير المجدية.
لم يجب ولم يتحرك وظل منتصباً امامها، مما جعلها كالسجينة وعندما حاولت الخروج امسكها من كتفها قائلاً:
- انت تحاولين بكل الطرق ان تتهربي من ماضيك... مع اننا في الوقت الحاضر لم نعد نقيم وزناً لهذا، وانا لا اريدك ان

تبذلي مجهوداً من اجل لا شيء.
وضغط بأصابعه على كتفيها مما جعلها ترتجف، وفي الخارج كان الهواء البارد يعصف بشدة، ولما رفعت رأسها الى الأعلى تابع يقول:
- نبقى هنا اذا كنت ترغبين بذلك؟
وبلطف ادار وجه جين واخذ يداعب عنقها نزولاً الى كتفيها ثم جذبها اليه وشد خصرها بيديه اللتين تفيضان رجولة، حتى شعرت وكأنها ستذوب، فهمس في اذنها:
- سأتجاوز كل الأنظمة، فأنت مثيرة جداً، وانا لست الا رجلاً وسأكون مجنوناً لو اضعت مثل هذه الفرصة...
وبدون ان يترك لها المجال لتقول شيئاً عانقها بحنان...
وشعرت جين بالدفء يسري في جسمها، وكأنه كشف عن مشاعرها المخبأة اذ لم يسبق ان عانقها احد بهذه الطريقة، وفهم ذلك شارل عندما ضمها بين ذراعيه وتمنت الا تنتهي تلك اللحظة. ثم ابعدها عنه قائلاً:
- اذن لم اكن مخطئاً... فأنت تجيدين العناق، وهذه موهبة جديدة تضاف الى نشاطاتك المتعددة.
وشعرت بثورة عارمة وفهمت بانه لن يدع الفرصة تفلت من يده، ولكنها قررت هي الأخرى ان تقاوم وبدأ شارل يتمرغ بها، وجهه، وشعره، وانفه واهدابه، ثم عانقها من جديد وبقوة جعلها تنسى ما قررته وتشتاق لعواطفها، وعندما تركها

كادت تسقط على الأرض لأن رجليها لم تقويا على حملها وبدون ان تقول كلمة واحدة، انسلت باتجاه الباب، وسمعت صوت شارل يقول لها بخشونة:

ـ لقد حان الوقت لتعودي يا جين، وبما انك غير مؤهلة لمجابهة هذا النوع من المواقف، انصحك بعدم العودة الى هنا في مثل هذه الساعة المتأخرة.

احمر وجه جين... يا له من وحش، الم يخرج هو ايضاً مهاناً من هذه المغامرة.

لكنها استطاعت ان تجيبه رغم الغصة التي خلفتها لهجته:

ـ اطمئن فأنا لست على استعداد لتجديد مثل هذه المغامرة ولكن ليس للأسباب التي تدعيها لانني اعتقد بأنني على المستوى نفسه.

بلهجة باردة اجاب:

ـ في كل حال ان عدم الخبرة له جاذبية ايضاً.

وعندما وصلا الى المزرعة قالت:

ـ تصبح على خير.

اجابها بنبرة ساخرة:

ـ ستشعرين بالتحسن غداً.

وبعد اسبوع وفي الصباح الباكر بعدما عادت جين من الاصطبل، وجلست تتناول طعام الافطار قدمت اليها ماري سماعة التلفون لتسمع صوت ليديا يقول:

ـ شارل ذهب الى لندن لمدة يومين... وقبل سفره طلب مني ان ابلغك بان تحلي محلي في العمل في الفترة التي اريد ان استريح بها، فهل يمكنك ان تأتي فوراً؟ بذلت جين كل ما في وسعها لتكتم سخطها وفكرت: اذا كان قد قرر السفر من الأفضل ان يكلفني هو بذلك، وعليه ان يعرف ايضاً بانه يكفيني ما اقوم به من اعمال مع الخيول بدون المكتب، وكذلك تلك المسكينة ماري التي تشكو دائماً من عملها المرهق ولكن لا... ان الآنسة كليفز هي التي بحاجة الى الراحة... ولما وصلت الى باب المكتب كانت ليديا تنتظرها بفارغ الصبر.

ـ حسناً نستطيع ان نقول بأنك تتصرفين بوقتك كما تشائين، سأذهب الى المدينة ولا اعرف كم سأستغرق من الوقت.

اذن كيف ستذهب الى المدينة وهي تدعي بانها محتاجة الى الراحة؟ وتابعت ليديا:

ـ نعم سأذهب الى نيوكاسل مستغلة غياب شارل لأفصل فستاناً... لأن ثيابي اصبحت واسعة بعد العملية، وسأحاول ان اصنع شيئاً من اجل شعري لأنني لم اعد اطيقه كذلك. وكالمعتاد كانت ليديا بكامل اناقتها ولكن جين اصرت بالا تعلق على الموضوع وقالت بلا مبالاة.

ـ وبالتأكيد ضربت موعداً؟

ـ موعد... آه... شعري اعتقد بأنني سأغير شكله.

وكان في صوتها رنين كاذب... لم تكن بحاجة لا لتسريحة

جديدة ولا لثوب... اذن لماذا هذه السرعة في الخروج؟

قالت جين وهي تأخذ مكانها على الكرسي:

- الم يقل السيد غريرسون شيئاً عن اسباب سفره الى لندن؟

- لضرورة العمل، قرر ذلك فجأة.

هزت كتفيها ووضعت امام جين مجموعة من الفواتير والسندات:

- هذا ما ستنجزينه خلال هذه الفترة، وبالنسبة الى الباقي، كتبت قائمة بذلك. في كل حال سأمر في نهاية اليوم لأرى اذا كان كل شيء على ما يرام.

- كان عليها الا تترك المكتب اثناء غياب شارل.

هذا ما قالته ماري عندما تأخرت جين في الحضور لتناول طعام الغداء:

- وعندما يعود السيد فنويك سأحاول ان اعرف لماذا تغيب الاثنان تحديدا هذا اليوم، قد لا يعنيني هذا، ولكن يهمني ان اعرفه.

جين كانت قد طرحت على نفسها السؤال نفسه، ومما زاد في حيرتها وجود ليديا في صباح اليوم التالي في المكتب.

- كما ترين لم اعد بحاجة اليك الآن لأنني قررت ان اؤجل ذلك الى يوم آخر، ولكنني سأطلب منك الا تخبري شارل بانني تغيبت البارحة... مع انه كان قد طلب مني ان اخذ بعض الراحة ولكنني اود ان لا يعرف بانني تبعت نصائحه.

- لماذا هل تخافين ان يحسم من راتبك؟

وندمت جين على هذه الدعابة الساخرة من ليديا التي احمرت بشدة. فليديا تستطيع ان تمضي يوماً مع مارك وتخدع شارل.

- لا ليس هذا ما فكرت به يا جين، فأنت تجهلين الكثير من الأمور.

واغتاظت جين كثيراً لأنها لم تستطع ان تفهم موقف ليديا.

اذن ليديا راضية عن هذا الموقف ولكن يجب الا يؤدي ذلك الى ان يتعكر الجو بين الرجلين، لأن عليهما ان يعملا معاً، ولكن ما السر في ان شارل ظل محتفظاً بوكيل اعماله اذا لم يكن راضياً عنه؟ وفجأة ادركت ليديا شكوك جين فقالت:

- لماذا تظنين بالسوء؟ يمكنني ان اقدم لك خدمات في يوم ما.

- هذا ممكن ولكن لا تعتمدي علي اذا فشلت مخططاتك.

هذا التحذير جاء بشكل احتقاري... وشعرت جين بأن مواقفها مقارنة مع مواقف ليديا لم تكن سيئة.

لقد عاد اهلها من كندا وتحدثت مع امها على الهاتف ورجتها ان تعود الى المنزل، ولكنها رفضت لأنها لم ترغب في العودة الى الجو العائلي... ولكي تهدىء قلق امها بررت لها ذلك بانها مجبرة ان تتم الفترة التدريبية خلال اسابيع.

ولكن ماذا سيحصل لو عرف شارل الحقيقة... سيطردها وهي لن تستطيع الابتعاد عن هاي لينتون اما بالنسبة لأبيها فهي لا تفكر به لأنها بمجرد عودتها الى البيت ستجد الوسيلة لاصلاح

الوضع، وستجد نفسها امام المذبح بين يدي فليكس. هذه الفكرة لوحدها جعلتها ترتجف وتأملت بحزن المنظر الذي يحيط بها. لماذا ارتبطت الى هذا الحد بهاي ليتون؟ لتبني شخصيتها وتحقق ذاتها في المستقبل... ان هذا السبب وحده لا يكفي، اذن؟ هذا التساؤل زاد من كآبتها.

مر اسبوع على حادثة سقوطها ولكن الموقف لا يزال حياً في ذاكرتها، عندما شدها شارل بين ذراعيه وعانقها... ماذا يمكنه ان يفكر بها.. وكان عليها ان تعرف مكانتها... وبوصولها الى الاصطبل فوجئت بمارك.

- لم اكن اعرف بأنك ستخرج الجياد هذا اليوم.

قالت جملتها هذه وهي تسرج جنيفر، فأجابها:

- شارل طلب مني ان اهتم بهذا الوحش هاموند اثناء غيابه ولذلك جئت لأؤدي مهمتي.

- يبدو انك لا تهتم بالجياد كثيراً فهل تخافهم؟

انفجر مارك ضاحكاً وقال:

- يا لها من عدوانية هذا الصباح، انا شخصياً لا اميل الى هذا النوع من الضخامة والخشونة... ولكنني لا اخافها.

هزت جين رأسها واجابت وهي تشد لجام جنيفر.

- فهمت، يبدو انك وقعت في طفولتك ذات يوم ولا زلت متأثراً بالحادث.

وامام مارك الذي بدا كالطفل الصغير الذي اعترف بخطأه

اضافت:

- ان مزاجي سيء هذا الصباح وذلك بسبب الارهاق من يوم البارحة، فلولم تتغيب ليديا وانت لما ارهقت بهذا الشكل.

- اذن انت تتصورين بأنني قضيت يوم امس مع ليديا.

- احساسي نادراً ما يخطىء ويبدو لي انك في موقف صعب يا مارك أليس كذلك؟

احمر وجه مارك وبدا عليه الانزعاج:

- انت تحبين الحديث بالالغاز. ارجو ان تشرحي لي ما تودين قوله.

- هذا ما ينطبق عليك انت، ولكنني خائفة لدى عودة شارل...

ضحك مارك بمكر وقال:

- افهم من كلامك بأن الفئران يجب الا ترقص في غياب القط.

- يبدو ان راحة يوم البارحة قد اثمرت لديك؟

- نقطة سجلتها لك... لقد ربحت يا عزيزتي جين.

وفجأة جاء صوت مارك ناعماً ولطيفاً عندما اضاف:

- لكنك لا تستطيعين فهم الأمور لأنك لا تعرفين كل شيء.

- وانت ايضاً، ومن سيقول لي كلمة كهذه بعد هذا اليوم... سأقتله.

- في القريب اذا لم تسر الأمور على ما يرام سآتي واخبرك

ونظر الى هاموند بلامبالاة:

- صحيح، لقد امضيت البارحة مع ليديا ولكن اطمئني فلهدف شرعي تماماً.

اذن صحيح ما ظنته جين ونظرت الى مارك نظرة لوم واستهجان.

- وشارل الا يعلم بذلك؟

- آمل ذلك.

ونظرت اليه جين وابتسمت ابتسامة تحمل كل سخرية الكون فقال مارك:

- يا للشيطان ماذا بك؟

- لا ادري... انا آسفة فقد يكون بسبب الارهاق وها انذا مثلك الآن لم اعد اعرف اين انا؟

- احياناً اتساءل اذا لم اكن الد الاعداء لذاتي.

- عديدون هم الذين يتساءلون التساؤل نفسه، من انا من اين اتيت؟ هذا هو السر الأكثر شمولية. اريد ان اعرف من يمكن ان يهتم بي.

قالتها بنبرة مقتطعة فأجابها مارك:

- كل الناس هنا... وكل الذين يأتون لزيارة الآثار الرومانية يتساءلون من هي هذه الخارقة الجمال، ذات الشعر اللامع التي تجتاز الهضبات على حصان اسود جميل... هل هي

كليوباترا ام شبح احدى الامبراطورات التي عادت من العالم الآخر لزيارة المكان.

- وكيف عرفت ذلك، او بالأحرى من قاله لك؟

- ها ها...

قالها بشكل ماكر وكأنه يكشف سراً واضاف:

- والمصيبة اذا عرف شارل بأنك امتطيت الفرس هاموند لقد حذرك من ذلك اكثر من مرة.

- هذا المسكين يجب ان يخرج، والا فسيجن في الاصطبل.

- حسناً في هذه الحالة اقترح ان تمتطيه اليوم، وانت بالمقابل تسكتين عني وعن ليديا.

- لا ابداً لن اقبل بهذه المساومة.

- من الأفضل ان تقبلي يا عزيزتي.

واستعاد هنا مارك كل ثقته بنفسه واضاف:

- سكوتي امام سكوتك ولا شيء آخر.

- هذا سخف.

ولكنها عندما فكرت بشارل وغضبه اجابت:

- اذن تستطيع ان تعتمد علي.

- كبداية لمستقبلك في نادي الفروسية.

هذا ما قاله شارل هذا الصباح وهو يمد الى جين علبة صغيرة. ويبدو ان شارل لم ينس احداً بعد عودته من لندن،

فكان للكل نصيبه من الهدايا وانعكس الفرح على جميع الوجوه. واخذت جين هديتها بيد مرتجفة وهي تحاول ان تسكت خفقان قلبها وهي تفك الخيوط من حول الهدية ومع رفع آخر ورقة حريرية صمتت للمفاجأة عندما وجدت حصاناً مصغراً عن هاموند وكان شارل يراقبها ولاحظ احمرار وجهها فقال:

- انت احببته منذ اليوم الأول، وكنت متأكداً من ان هدية كهذه ستعجبك.

- بالتأكيد... يا له من تشابه... لا استطيع تمييز اي فارق بينهما...

انه مصنوع من حجر كريم، واستطاعت ان تكتشف ذلك من معرفتها لمجموعة حلى الزينة الخاصة بامها. فقالت:

- لا بد انها كلفتك كثيراً؟

وخيم صمت لم يقطعه الا رنين الهاتف. وكانت كل من ماري وهيلدا سعيدتين بعلب الشوكولا.

قالت هيلدا:

- هل لديك بعض الوقت يا جين لتساعديني في صنع الحليب؟

وعندما اغلق الباب ركز شارل نظراته على جين الواقفة امامه وقال:

- بالتأكيد حصلت على هدايا من قبل يا عزيزتي جين.

- تريد ان تقول يجب علي الاعتراف بالجميل؟

- كنت ارغب في لوي عنقك الجميل، اعتقد بأنها ليست المرة الأولى التي تتلقين فيها هدية من شخص؟ الم يشرحوا لك بانه من غير اللائق التحدث عن سعرها؟

احمرت جين وهي تقول لنفسها: انها ليست هدية يقدمها رب عمل الى موظفة، لماذا يجد متعة بارباكي. في كل حال هي لم تطلب منه شيئاً.

- لا اعرف اذا كان يمكنني ان اقبلها، وفي الحقيقة لم تكن ضرورية.

- هذه الهدية يا عزيزتي جين، شعرت برغبة قوية بان اقدمها لك، لأرى الفرح الذي سيضيء وجهك. قد يكون ذلك انانية من جانبي، وعليك ان تعترفي بان هذه الطريقة غريبة جداً في استقبال مسافر.

- غياب يومين، من الصعب ان تسميه سفراً.

- هذه المرة لم ابتعد اكثر من لندن ولكن في المرات المقبلة عندما سأسافر الى الخارج سترين ماذا سأحضر لك معي.

ولم تعد جين تحتمل نظراته الساخرة، فأجابت مدافعة عن نفسها وبصوت يرتعش غضباً:

- ولكنني لا اريد شيئاً.

وعند هذه الكلمة وضعت الحصان بين يدي شارل وقالت :
ـ لقد قررت بألا اقبله فأرجو ان تستعيده .

٦ - الجرح ليس دائماً في القلب!

- جين؟

قالها شارل وامسك ذراع جين بقسوة وشدها بعنف ثم اضاف:

- اذا لم تتلقي التربية الجيدة في صغرك فيمكنك ان تتلقيها الآن، ستأخذين الهدية وتقولين بكل لطف شكراً.

حاولت ان تخلص ذراعها من قبضته ونظرت الى وجهه بتمرد وعندما لاحظ امتقاع وجهها قال بلطف:

- لننسى هذا الموضوع.

وبعد ان ترك ذراعها تابع:

- لننسى الماضي يا جين... واعتقد بان عدم حصولك على الكثير من الهدايا، هو الذي يبرر موقفك.

ابتسمت بسخرية وهي تقول لنفسها: انه يعتقد بانني فتاة من عائلة بائسة، فكيف يمكن ان اصبح كالأميرة بهذه السرعة، لا بد انه شعر بالاهانة عندما رفضت هديته وحاول ان يستعيد كبرياءه... ولكن لماذا اثير غضبه ومن الأفضل ان اكسب رضاه.

- هذا صحيح بدون شك.

وبعد ان قالت جين جملتها هذه وضع شارل الهدية على الطاولة، وقبل ان تقوم بأية ردة فعل احاط وجهها بيديه وبدا يتحسس عنقها وهو يتأملها. ارتجفت جين، ولم تعد تقوى على الحركة امام الجاذبية الطاغية لهذا الرجل، ولم تخرج من ذهولها الا عندما سمعت صوت دوي الباب في الصالة. وقالت:

- لم ار في حياتي رجلاً يحمل مثل هذا الكبرياء.

انفجر بضحكة ساخرة واجاب:

- في المرة المقبلة سأجعلك تنحنين... واعتقد بأنك ستستمتعين بذلك.

ثم اضاف بقسوة:

- انني لأتساءل يا آنسة براون الى اي مدى تصل درجة براءتك نسبة للانطباع الذي توحين به... ولكنني ساعرف ذلك في يوم ما.

صرخت جين وهرولت تقفز السلم كالمجنونة، تكاد تنفجر

سخطاً وغيظاً، والقت بنفسها على السرير وهي تضرب بقبضتيها على اذنيها، كيف تجرأ، لو تستطيع ان تجرحه بالقسوة نفسها ولكن ما السر؟ لا يكاد يضع يده عليها حتى تنسى اساءته، انها تحس بالخزي والعار فهو الرجل الأول الذي استطاع ان يثير فيها هذا الشوق. . . ولكن يجب ان تبتعد عنه بأي ثمن، والا تلتقي به وحده بعد الآن.

كان الطقس رمادياً، والريح تعصف بزجاج النوافذ، وكانت ماري تحضر الشاي عندما دخلت جين الى المطبخ فسكبت لها فنجاناً.

- لا استطيع، لقد تأخرت على هيلدا.

- يمكنك ان تشربي قليلاً.

ثم اضافت وهي تقدم لها الفنجان:

- لم يغب عن ذهنه ابداً ان يحمل الينا الهدايا كلما سافر.

- من المعروف ان الرجال لا يهتمون كثيراً بذلك.

- صحيح. . . فوالده مثلاً لم يقدم لأحد هدية طيلة حياته حتى في الأعياد، وهذا ما آلم شارل كثيراً عندما كان صغيراً.

- وأمه؟

- ماتت بعد ولادته. . . الم اقل لك ذلك؟

- لا. . . اذن لحسن الحظ انك موجودة الى جانبه.

- صحيح ولكن من المستحيل ان اعوضه امه.

ولاحظت جين اختفاء الهدية عن الطاولة وخمنت ان يكون

قد اخذها شارل، وعندما وصلت الى المزرعة سمعت هيلدا تقول:

- في لحظة العمل الكل مشغول وليس لديه الوقت لمساعدتي.

- ماذا تقصدين؟

هزت كتفيها وقالت باللهجة نفسها:

- لا احد يمكنه ان يتصور بأنك تعملين بالاصطبل ولست الوحيدة التي لاحظت ذلك.

- ماذا تعنين؟

- ان الزائر الذي كان هنا البارحة مع مارك، اكد بانه رآك سابقاً في برادفورد.

وظهر القلق على وجه جين واجابت:

- كيف يمكنه ان يؤكد ذلك وانا لا اعرفه.

اتمنى الا تسعفه الذاكرة وينسى الموضوع، هذا ما قالته جين في نفسها وهي تتابع نقل زجاجات الحليب، ورغم كل الحذر، انزلقت على الأرض وانكسرت بيدها الزجاجة وسال الدم من يدها، قفزت هيلدا الى جانبها وساعدتها على الوقوف. . . واستندت جين الى الطاولة لأنها لم تستعد وعيها تماماً. . . ولكنها سمعت هيلدا:

- بماذا تشعرين. . . يجب ان نوقف النزف بسرعة.

وضعت هيلدا قطعة مبللة من القماش على جبينها وبدأت

تضمد لها الجرح ثم اعطتها قطعة من السكر تمصها. وطلبت اليها الا تتحرك حتى تعود اليها، ولكن جين حاولت الوقوف وهي تستند الى الطاولة ولم تر خيال الرجل الذي مر من الباب ونادى بصوت آمر:

- هيلدا.

ولما شاهد جين تترنح قال:

- ماذا تفعلين هنا ويدك مضمدة؟

- انزلقت... وليست هذه غلطتي.

ورأى قطرات العرق التي تتلألأ على جبينها وتوجهت الى الباب بخطوات ثقيلة، شارفت على السقوط حملها شارل بين ذراعيه وخرج، وعندما داعبت النسمات وجه جين وشعرها، انتعشت قليلاً، ولكن شارل امرها بالا تتحرك، وشعرت ان قلبه يكاد يتحد بقلبها، وذقنه تلامس رأسها من حين لآخر وهو يشدها الى صدره وهي تتمتع بالرائحة اللطيفة المنبعثة منه رغم المها.. ورغم ثقلها قطع المسافة كلها بخطوات سريعة حتى وصل الى السيارة حيث اجلسها الى جانبه مع ماري وذهبا الى طبيب القرية.

وبعد ان ضمد الطبيب جراحها، اعطاها بعض المسكنات وحقنة ضد التسمم، قال لها:

- غداً ستشعرين بتحسن، ولكن انصحك بأن تستريحي في البيت يومين قبل العودة الى العمل... اين تسكنين؟

اجاب شارل:

- بعيداً جداً من هنا.. وهذا ما يخيفني.

ورغم ان جين تحاشت كل تلك الفترة النظر الى وجه شارل، ولكنها لا يمكن ان تنسى الرعب الذي ارتسم على وجهه لحظة رآها تترنح، اجابت:

- لا اعتقد بأنني مريضة، ونستطيع ان نقوم بأعمال كثيرة بيد واحدة.

- كما تشائين، ولكن احذري فنحن نرتكب الكثير من الحماقات باليد اليسرى اذا لم تكن قد تعودنا استعمالها.

وفي طريق العودة كان شارل صامتاً، ونامت جين معظم الطريق لأنها ما زالت تحت تأثير البنج الموضعي... ثم ساعدتها ماري لتخلع ثيابها وتنام في سريرها، وما كادت تخرج لتحضر لها شرابا ساخنا، حتى سمعت طرقاً على الباب، وعندما رأت شارل على الباب خفق قلبها بشدة.

- اطمئني لن آكلك... جئت لأعيد اليك شيئاً نسيته في جيبي، ولاطمئن عنك واسألك اذا كنت محتاجة لأي شيء.

ثم اخرج شيئاً من جيبه ووضعه على الطاولة، ولم تنظر جين لأنها كانت متأكدة من انها احذية.

- انه يذكرك على الأقل بيوم مليء بالنشاط.

ونظر اليها بنظرات فاحصة، الوجه، العنق، الكتفين، وقال:

- انه لجميل ان اراك قد خلعت السروال الذي يوحي لي بانك ولدت وانت ترتدينه.

ابتسم ممازحاً فردت جين ممازحة:

- من الخطأ ان نخبىء الجمال... انا موافقة.

وما كادت تنهي جملتها حتى احمرت خجلاً وحاولت ان تغطي وجهها بالوسادة فقال شارل:

- كفي عن هذه التصرفات الطفولية... يكفي ما تحملت هذا اليوم.

وضع يده على كتفها المكشوفة... فأحست بجسمها يتأجج ناراً ثم شدها بعناية قائلاً:

- انت فاتنة ومغرية كالمعتاد، وقبلها على جبينها وسحب يديه. نامي بهدوء يا صغيرتي وسأعود غداً لأراك.

ثم اتجه نحو الباب وهي تصرخ في سرها: سأقتله اذا ناداني بعد الآن بيا صغيرتي.

وبعد ان اغلق الباب تمنت ان يبقى الى جانبها طيلة الوقت. ولكن السؤال الذي ما زال يحيرها، لماذا قدم اليها هذه الهدية الثمينة هل رأفة بها لأنه يعتقد بانها فقيرة؟ حسناً ليتصرف كيفما يشاء وسوف تحاول التخلص من هذا الحاضر.

وبينما كانت غارقة في افكارها سمعت بعض الاصوات من تحت النافذة وكان صوت المتحدث غاضباً فنهضت من فراشها وابعدت الستارتين ونظرت فشاهدت مارك بسيارة شارل،

وهذا يحاول ان يتحدث من خلال النافذة ولم تستطع ان تتبين وجهه ولكنها سمعته يقول:

- لو كنت مكانك لتزوجت فوراً من ليديا.

عادت الى سريرها مترنحة فكلمات شارل آلمتها اكثر من جرحها. واندست بين الشراشف وشعرت بالوحدة والعزلة.

وبعد عدة ايام كانت جين مشغولة في المطبخ، فجاءت اليها ليديا ورأتها تشتغل بيد واحدة:

- يبدو انك تتمتعين بميزات عديدة؟

اجابت جين:

- يمكن ان نقول عنك ايضاً هذا الكلام يا عزيزتي.

فتضايقت ليديا وقالت:

- ماذا تعنين بذلك؟

تركت جين ترتيب الصحون واجابت بخبث:

- اعذريني لمزاجي السيء ولكنني كنت انتظر ان تسألي عن صحتي ولكن خاب ظني... ارجو ان تعذريني فلدي الكثير من الأعمال قبل ان تعود ماري من السوق.

ردت ليديا ببرود، وواضح انها لم تصدق كلمة واحدة من اعذار جين:

- في الحقيقة جئتك برسالة من السيد غريرسون، لأننا سنتغيب هذا اليوم ولا نعرف في اي ساعة سنعود، لذلك يطلب اليك ان تكوني جاهزة غداً صباحاً في السابعة لكي تذهبا

سوية الى سوق بيع الجياد.

وعندما اخبرت ماري بذلك اجابتها:

- اذن ستمضين غداً يوماً رائعاً.. فكلاكما يعشق الجياد.

تدخل مارك بمرارة قائلاً:

- اقترحت ان اذهب مكانك لادعك ترتاحين ولكنه لم يقبل.

ردت ماري عليه:

- اذا ذهبت انت والسيد شارل من سيبقى في المزرعة.

واضافت جين:

- وانت كوكيل اعمال لديك الحرية في التصرف.

فأجاب:

- من الناحية النظرية صحيح ولكن من الناحية التطبيقية؟ ولا داعي يا ماري لان تهزي رأسك لأنك تعرفين بأن لكل شيء حدود يجب ان نقف عندها.

- ولكن هذا خطأ من؟

ونظرت اليه ماري نظرة ذات معنى.. فمارك لم يطالب بهذا وهو يعرف ما يفرضه الوضع العاطفي على الرجلين. بالاضافة الى ان مارك ليس ذلك الرجل الذي يتفانى في حب عمله.

وتوقف النقاش بوصول الطالبين وذهبت ماري لتحضر لهم الطعام.

وفي صباح اليوم التالي كانت سيارة شارل تخترق شوارع

مكسهام وهو يعدد اسماء المناطق التي يمران بها فتضايقت جين من طريقة اعجابه بنفسه وقالت:

- كل الاسماء التي عددتها لا تهمني، وان كانت تعجب السياح.

- لا تحتقري الآخرين يا جين والماضي يحمل لنا الكثير.

- ربما ولكنني لا اتمتع بالوقوف ساعات امام احجار قديمة.

- عزيزتي جين يبدو انك نسيت بان هذه الاحجار القديمة الهمت المئات من الكتاب. ولمعلوماتك يا آنسة براون اننا نمر الآن امام بوابة رومانية كانت مفتاح الخطوط الدفاعية.

وارادت ان تزعجه بدورها فقالت:

- قل لي.. اما يزال الدم الروماني يسري في عروق بعض سكان المنطقة.

فابتسم واجاب:

- ربما، فقد بقي الرومان هنا فترة طويلة... ولذلك فنحن ايضاً مشهورون بنوع من الوحشية ولسنا متمدنين بما فيه الكفاية.

وكانت جين سعيدة بهذا الحوار لأنه ابعدها عن الحوارات الشخصية.

- انا لم اسألك عن يدك... ماذا قال الطبيب البارحة؟

- قال بأن الجرح في طريقه الى الالتئام.

- حسناً.. كان من الأفضل ان تستريحي عند اخيك.

واشعر بالذنب نتيجة لذلك، ولكني خفت من عدم عودتك لأنني لا اعرف اين سأفتش عنك.

- استنتج انه لا يمكن الاستغناء عني رغم جرحي؟

- ليس هذا تماماً ما اريد قوله. جين لا تنظري الي على انني رجل مادي مرعب.

- يصعب علي احياناً ان اكون واضحة مثلك.

وانتظرت ثورة غضبه ولكن على العكس، اطلق ضحكة لطيفة، ونظرت جين من النافذة تتأمل القرية الصغيرة.

٧ - الصدق يحقق الأحلام

الوقت يمر بسرعة في اوقات البيع، وسوق حيوانات تايندال لا يشذ عن هذه القاعدة. بعد ان توقفا قليلاً مع الحصان الذي سينفصل عنهما، كانت جين سعيدة بمراقبة كل ما يحدث حولها. البيع نشط، وكثير من المشتركين عادوا بخيبة امل لأنهم لم يجدوا طلبهم، وقف شارل مع احد اصدقائه يبدي رأيه بعدما باع حصانه بسعر جيد وبسرعة غريبة. قال الصديق:

- اشتريت هذا الحصان خدمة لصديق محتاج، ولست بحاجة اليه، ولن يكون تعيساً حيث هو ذاهب فالمشتري سيقدمه هدية لابنه الذي يبلغ الثامنة من عمره.

- اعتقد ذلك.

وتخيلت جين سعادة الطفل بهدية كهذه وقالت لشارل:

- ولكنني فوجئت بالأسعار، فمن يريد امتلاك حصان يجب ان يمتلك ثروة.

- ليس تماماً، لأن الناس لا تفكر بامتلاك العشرات منها...

ونظر اليها محاولاً استكشافها ثم قال:

- لدي موعد مع كاتب العدل في المدينة في الساعة الخامسة، ولكن يمكن ان نلتقي بعدها حوالى السادسة والنصف، وهكذا يمكننا ان نتناول طعام العشاء في المدينة قبل عودتنا الى المنزل.

وبدون ان ينتظر ردها اعطاها اسم المطعم وعنوانه واضاف:

- تستطيعين ان تستغلي هذه الفترة في التسكع بالمدينة.

وغاب في شارع جانبي بينما بقيت جين واقفة مستغربة، كل شيء... المدينة، المزرعة، خيول شارل، انها لا تشكل شيئاً في كل هذا العالم. احست بالغربة، وشعرت برغبة قوية في التحدث الى احد افراد اسرتها، امها مثلاً، فقد تساعدها على ان تتجاوز هذا الاحساس المرعب بالغربة والوحدة، وربما من الافضل لها ان تتراجع عن مشروعها في انشاء ناد للفروسية، بعدما رأت هذا الغلاء في الأسعار، اضافة الى الأرض وكل ما يتبع ذلك، فإرث جدتها لن يسد الحاجة على الاطلاق... اذن ما الذي جاءت تفعله هنا؟ وقررت ان تخبر امها بعودتها الى برادفورد، وامتلأ رأسها بالقرار ودخلت اول مقهى وجدته في طريقها، وبدأ المطر يعصف في الخارج وادارت الرقم وقد

تملكها شعور بأنها كبدو الرحل، وتنهدت بارتياح عندما جاءها صوت امها التي صرخت عندما سمعت صوتها:

- حبيبتي متى ستعودين؟

ولم تستطع ان تخفي قلقها، فالحيوية التي تتمتع بها ابنتها ليست الا تلك التي لأمها عندما كانت في عمرها. وقالت جين في نفسها، اعتقد انه الوقت المناسب لأعيد اليها الهدوء والطمأنينة واعلمها بعودتي غداً، ولكنها لم تستطع ان تقول كلمة واحدة فكل القرارات تبخرت في الهواء، وهي غير قادرة ان تترك هاي ليتون. وجاءها صوت امها بمرارة وحزن:

- حبيبتي جين انت دائماً هنا معنا.

- بالتأكيد، كيف حالك يا امي؟

- لا بأس، لكن كفي عن تعذيبي وقولي لي متى ستعودين، ارجوك؟

ورنت في اذنها ضحكة ابنتها:

- كيف استطعت ان تحتملي غيابي عندما كنت في المدرسة الثانوية؟

- ولكن الموضوع الآن مختلف يا ملاكي وتعرفين ذلك جيداً، لم اكن بالأم القاسية والمتشددة في يوم من الأيام، لكنك اختفيت بين ليلة وضحاها بدون ان تتركي اثراً، اليس هذا مقلقاً، ووالدك المسكين لم يعد يستطيع النوم من شدة قلقه، اما البائس فليكس...

وهنا ابعدت جين السماعة عن اذنها لأنها تعرف ما ستقوله امها.

- ارجو ان يبعد فليكس عن هذا الموضوع نهائياً واعتقد بانني شرحت لك ذلك سابقاً.

- لكنه يحبك... ولا اعرف ما الذي تحملينه ضده، انه شخصية محبوبة ولطيفة، والحب ليس كل شيء في الحياة، وقد يأتي بعد ذلك.

- ولكني لا اريد زوجاً لطيفاً.

وكانت ترغب جين في ان تصرخ بانها تريد شخصاً قوياً وغامضاً، ذو طبع متعال، شخص مثل... وهنا استعادت نفسها. لماذا تحلم بشخص كهذا بالتحديد... انه لعبث، لماذا رفضت ان تترك هاي ليتون، ولكن هذا لا علاقة له بشارل غريرسون. ماري... كيف لم تفكر بها؟

وتمسكت بهذه الفكرة وقالت:

- هنا في المكان الذي اعمل فيه السيدة المسؤولة كانت في غاية الطيبة، ولذلك لن استطيع ان اتخلى عنها بهذه البساطة، بدون ان يكون لديها الوقت الكافي لايجاد بديلة.. فلنقل شهراً.

- شهر.

قالتها السيدة براون بتعجب، ثم صمتت وكأنها ارادت ان تغير اسلوب كلامها:

- ان والدك يقول، بانه على استعداد لمناقشة مشروع نادي الفروسية معك من جديد لدى عودتك، اذن لم يعد هناك اي مبرر لتأجيل عودتك والمسؤولة ستجد دائماً من يساعدها، ولا اعتقد بانك تساعدينها في غسل الاطباق.

جين فضلت ان تتجاهل الجملة الاخيرة لتعود الى موضوع والدها:

- انه يقول ذلك لأعود الى البيت، ولكن لنسلم بصحة كلامه اذ بدأت احسب تكاليف المشروع!

- اذن عودي ولا تنتظري شيئاً.

- لا ليس قبل بضعة اسابيع.

- حسناً. . . يمكنني ان اقول لأبيك بأنك ستعودين لاستلام وظيفتك في المكتب.

- لا ليس في المكتب، فلا مجال للحديث في هذا الموضوع. صحيح انني لا ك مشروعاً اكيداً ولكن الأكيد بأنني لن اعود الى عمل المكتب.

والقت جين نظرة خاطفة الى الوراء لترى اذا كان هناك احد ينتظر الهاتف واستغلت هذه الفرصة لتنهي المكالمة.

- اعذريني علي ان اودعك الآن وسأكلمك قريباً.

وبعد ان كادت تضل الطريق عدة مرات لعدم معرفتها بالشوارع، وجدت اخيراً المطعم، وفي الداخل كان شارل ينتظرها، ولم يسألها كيف امضت وقتها بل امسك بذراعها

بشوق، ولكنها شعرت بالضيق عندما لمحت ان عقارب الساعة تشير الى السابعة.

- لا تقلقي لدينا الكثير من الوقت لتناول طعام العشاء.

وجرها الى احد الصالونات حيث كان يجلس وطلب كأسين من الشراب قدم لها احدهما قائلاً:

- اشربي فهذا سيساعدك على الدفء.

وكان قد لاحظ شحوب وجهها بسبب البرد ورعشتها. وارغمت نفسها على الشراب، رغم انها لا تحبه. انها ليلة باردة. . . وهذا الوقت الطويل الذي امضياه خارجاً جعل البرودة تتسرب الى عظامها وكذلك الحديث مع امها، وفوجئت بصوت شارل:

- لماذا تأخذين دائماً موقف الدفاع. . . انا لست بربرياً، ولكني احترس فقط من النساء الجميلات ولا اقترب منهن الا بحذر شديد.

اشتعلت جين غضباً من لهجته الجافة ودفعت بالكاس على الطاولة وقالت:

- يا سيد غريرسون، انا لا اشعر بالعطش اطلاقاً.

واعتبر شارل هذا التصرف مسلياً فقال:

- لماذا تتصرفين كطفلة غريبة الأطوار يا جين؟ فأنت دائماً حذرة ومتحفزة كالغزال الصغير. لماذا يريد ان يسخر منها، وبحركة عصبية القت بشعرها الجميل الى الخلف، وفي الوقت

نفسه تريد ان تثيره، وعندما رأت وجهه العبوس المتكبر نهضت:

ـ سأذهب لأغتسل قبل الطعام، اذا لم تزل لديك الرغبة بدعوتي.

ورفعت رأسها بتكبر وخرجت من الصالون بدون ان تلتفت الى الخلف ولكنها كانت مدركة بأنها كانت مضحكة الى حد ما.

غسلت وجهها ويديها واسدلت شعرها على كتفيها وسرحته بعناية، ولم يكن لديها الا رغبة واحدة وهي الهروب من الرجل الذي ينتظرها، والقت نظرة اخيرة على المرآة لتطمئن على مظهرها، انها ترتدي قميصاً حريرياً مع تنورة من المخمل من اللون نفسه. وغمرها شارل بنظراته عندما رآها تقترب.

ـ احب شعرك لماذا لا تتركينه غالباً على هذا الشكل فهذا يليق بك.

ورغم لهجته الرقيقة لم تصدق جين بانه يمكن ان يتأثر بجاذبيتها كامرأة، وبسحر أنوثتها، ولتخفي اضطرابها قالت:

ـ لأن ذلك عملي ومريح اثناء العمل.

مد يده الى ذقنها ورفع رأسها اليه قائلاً:

ـ هيا بنا يا جميلتي ولا تفتعلي الخجل... من الأفضل ان نذهب للعشاء.

جلست جين الى الطاولة المحجوزة واحست بنظرات الاعجاب من مدير المطعم، وطيلة السهرة لم تستطع ان تحيد

نظرها عن شارل، كانت تتأمل الصالة الفخمة الجميلة ثم تعود بنظرها اليه. انه الرجل الذي لا يترك اي قرار للصدفة، هذا ما فكرت به جين وهي تتناول الطعام بشهية... وشعرت بارتياح، ولم يخف على شارل هذا التغير في مزاج جين عندما فاجأها:

ـ هل من جديد بعد ان تركتك، اعذريني اذا ما بدر مني اي شيء، ولكن ذلك لصالحك، وحزن الاخرين يخرجني دائماً عن ذاتي.

ولم تكن جين على استعداد بأن تتلقى مثل هذه السخرية وفي هذه الساعة:

ـ اعتقد انك تتمتع بالسخرية مني.

واسدلت جفنيها، وانفجر ضاحكاً:

ـ تراودك مثل هذه الأفكار احياناً، ولكن لن يتحدث عنها بعد الآن. ولكن سأتغيب عدة ايام لزيارة احد اقاربي في بوردو، فانا أقوم بزيارة هذا العجوز من وقت لآخر.

وتحت تأثير المفاجأة وضعت جين الشوكة من يدها وقالت:

ـ اجدادي ايضاً...

وادارت رأسها باضطراب بعد ان شعرت مرة اخرى بحماقتها.

ـ ماذا قلت؟

ـ لا لا شيء، لا تهتم لما قلته.

ولم يعد لديها شك بأن شارل قد اكتشف الحقيقة:

- اجدادك فرنسيون؟

احمرت جين وهي تأخذ موقف الدفاع.

- ماذا يعني ذلك؟ ليست جريمة.

- يا الهي لماذا تشوهين كلامي بهذه الطريقة... اسمعي، ايضاً هناك دم الماني يجري في عروقي... يعود الى عدة اجيال، كان علي ان اشك بأن شعراً بهذا اللون لن يكون انكليزياً وموضوع نادي الفروسية... لم اجده الا بفرنسا.

- بكل بساطة انها مصادفة.

- لا... لن اصدق هذا... ان طريقتك في امتطاء الخيل لا تخطىء... لدي اصدقاء يمتطون الخيل من الصغر، لكنهم لم يتوصلوا الى هذه الدرجة من الاتقان.

- كفى ارجوك...

كان عليها ان تجابه خبرة هذا الرجل القوي وقالت:

- ذهبت مرة واحدة في زيارة الى بوردو منذ زمن بعيد واجدادي رحلوا الى العالم الآخر قبل ولادتي.

- اجدادك لأمك؟

وهزت راسها بطريقة آلية، ولكن هذا ليس سؤالاً، فإن اسم عائلة براون لا علاقة له بالاسماء الفرنسية.

- الم تعاودي الذهاب مرة اخرى الى هناك؟

- لا ابداً.

وعبست وكأنها تعلم واضافت:

- اعترف ان لدي رغبة كبيرة للعودة ولكن هناك امكنة اخرى تستحق الزيارة.

- اذن فأنت رحالة كبيرة البس كذلك؟

طرح شارل هذا السؤال بلهجة خشنة مما اثار كبرياءِ جين فردت عليه:

- لا ابداً واذا كنت قد خلقت لديك مثل هذا الانطباع فأنا آسفة.

- لا اهمية لذلك... واذا اردنا ان نعود الى حبك للخيول فإن احلى امنية لديك هي انشاء ناد للفروسية خاص بك، هذا ما قلته انت.

- هذه الفكرة تبخرت في الجو ولم اعد افكر بها.

- حسن...

وبالحقيقة ان شارل لم يكن بالانسان المغفل نظر اليها بتمعن وقال:

- لماذا لا تقولين بصراحة... ان طموحاتك لم تتحقق لعدم توفر الدراهم، وليس في هذا ما يعيب. وعندما اسمعك تتحدثين بهذا الحماس عن المشروع تعيدين الي التفكير بمشروعي الذي فكرت به منذ عدة سنوات، ولكن المشكلة بالنسبة لي هي مشكلة الوقت وليست مشكلة المادة.

وعلى الرغم من انها حاولت ان تبدو غير مبالية، لكنها

اصغت اليه بشكل جيد.

- ان نوادي الفروسية المتعددة التي بدأت تقام في كل مكان تقريباً لا تغطي دائماً حاجاتها. فكثير من الشبان لا يعرفون اذا كانوا يحبون الفروسية فعلاً او انهم يمارسونها تقليداً لفلان وفلان من الأصحاب وهذا يبعد الأهل عن صرف ثروتهم في مشاريع غير مضمونة.

- وانت هل توافق ان تهتم بمشروع كهذا؟

وهنا ارغمت جين نفسها بأن تتكلم بصوت معادل لصوته، اجابها شارل:

- انسيت بيل وبن الطالبين... لماذا تعتقدين انني استخدمتهما في هاي ليتون؟ وليس من السهولة ان يجد الطالبان من يتحمل مسؤوليتهما، ولم اطلب منهما الا شيئاً واحداً الا وهو الصدق في العودة، وانا اتعهد بأن اقدم لهما كل المساعدات التي يحتاجانها، ومن اجل نادي الفروسية بالذات جهزنا عدداً من الخيول... ولا ينقصنا الا القليل لتحقيق مشروعنا.

شدت جين على قبضة يدها وتفجرت كل حيويتها، وكادت تموت من شدة الفرح وارادت ان تقدم له مساعدتها، ولكن كلمة واحدة اوقفتها، كلمة الصدق، ماذا لو عرف شارل الحقيقة... والموقف العاقل ان تغادر هاي لينتون في القريب كما قررت.

- هذه فكرة ممتازة بدون شك.

وكتمت تثاؤبها واضافت:

- اعذرني. لقد كان اليوم متعباً بالنسبة الي.

وكأن الزمن قد توقف عندما عاودت النظر الى شارل فرأت امامها شخصاً غريباً وكأنها تراه للمرة الأولى.

- اذا صح ما فهمته فان عرضي لا يهمك؟

لم تحتقر جين نفسها كما احتقرتها في هذه اللحظة... انه يفعل ذلك من اجلها ويحاول مساعدتها في هذا المشروع، ويعطيها فرصة لتستعيد امكانياتها وقدراتها ولكن مع الأسف كان عليها ان ترفض.

- النساء يغيرن آراءهن بشكل دائم.

طبعاً لم يقتنع شارل بذلك، وخوفاً من ارتباكها ازاحت كرسيها وقالت:

- اعتقد ان الوقت قد حان للعودة، الا ترى ذلك يا سيد غريرسون؟

- انا اقترح بالأحرى ان نمر بالصالون لنشرب القهوة.

واضاف بسخرية:

- ولا تعتقدي بأن رفضك سيغير شيئاً، سأنفذ المشروع وثقي بذلك.

ومسك ذراعها بتسلط حتى وصلا الى الصالون.

- انها العادة في هذا المطعم، يقدمون القهوة في الصالون، ويعتبرون ان هذا المكان اكثر اهمية بالنسبة لزبائنهم الذين

يريدون اطالة السهرة قليلاً.

وبدون ان تدرك جين نظرة شارل المركزة عليها جلست على المقعد نفسه الذي كانت تجلس عليه قبل العشاء وبدأت تتذوق قهوتها، ومع الاضاءة الخفيفة توضحت كل تفاصيل وجهها الرقيقة المحببة.

- عندما ساكون في فرنسا فإن مارك هو الوحيد الذي سيهتم بهاموند، ولا اريد ان تمتطيه اطلاقاً... مفهوم.

- طبيعي.

ماذا لو عرف بأن مارك هو الذي خرج عن طاعته في المرة الماضية.

- طبيعي!

سخر منها وتابع:

- كيف يمكننا ان نثق بشخص يتمتع بكل هذه البراءة؟

ووجه اليها نظرة تكذب كلامه، مما جعل جين تشد بأصابعها على فنجان القهوة، ماذا ينتظر منها ان تعترف بأخطائها، ثم ترتمي على قدميه ليسامحها. عضت على شفتها، وقد عرفت بأنه لم يسيطر عليها بهذه الطريقة اي رجل طيلة حياتها، واذا لم تستطع ان تسيطر على نفسها حالاً فستكتشف كم هي مضحكة.

الوصول المفاجىء لليديا ومارك انقذها من مصيبة قال شارل:

- اذكر الذيب...

وجحظت عينا جين من المفاجأة... مارك كان قد لمحهما وتوجه مباشرة نحوهما وليديا من ورائه.

- كنت متأكداً من وجودكما هنا، فشارل لا يفوت فرصة العشاء في المدينة بعد عملية البيع، كذلك ليديا وانا قررنا ان نأتي لنشرب كأساً هنا.

ولم توجه ليديا نظرها الى جين التي لم تندهش لذلك.

- نحن متحرقان لمعرفة نتائج البيع، هل حصلت على سعر جيد؟

- كنا على وشك الذهاب.

ونهض شارل واعطى كرسيه لليديا.

- البيع كان جيداً، ورومستلو بعناه بسعر جيد.

- احضري معطفك ريثما اطلب لهما شيئاً ثم اراك على الباب.

وفي السيارة خيم صمت كامل من ناحية شارل، وجين بالتأكيد كانت تفكر بليديا، لماذا تهمها مشاعر هذا الرجل الى هذا الحد؟ ولماذا هذه الرغبة في معرفة كل شيء عنه، عن تجاربه، عن علاقاته، وخافت من فكرة التحقيق اكثر من ذلك ومما يمكن ان تكتشفه.

- لم اعد احس برأسي، اشعر بصداع حاد.

وبدون ان تنتبه يبدو انها تكلمت بصوت عال فأجابها

شارل:

- اقتربنا من الوصول.

كيف يستطيع ان يظل محافظاً على سيادته الكاملة كان بامكانها ان تدفع غالياً لتعرف امراره. لقد ارهقت من المعارك التي تدور في داخلها ولا تجد لها مخرجاً، فقررت ان تنتقل بتأملاتها الى الاشجار العارية المتتابعة، ويبدوان الضوء الخافت مع رتابة الاشجار اثر عليها فنامت. وعندما استيقظت كان شارل واقفاً امام المزرعة وقد فتح لها الباب وساعدها على النزول واخذ يدها تحت ابطه حتى استعادت توازنها.

- كان يوماً طويلاً ويبدو انك تعبت.

كانت نصف نائمة ونظرت اليه نظرة محملة بالنعاس.

- كعيون القطط...

تمتم بهذه الجملة وهو ينحني بابتسامة، وبالكاد سمعته، وبالنتيجة لم تكن لديها اي رغبة في تلمس الحقيقة القاسية.

- تريد ان تقول بسبب لونها الاخضر.

ومسحت جبينها بكفها وادركت ان الصداع قد زال...

فقال:

- هل تعرفين ماذا حصل لجميلة الغابات اثناء نومها، لقد وضعوا خصل شعر ذهبية بين اصابعها وحسب ما اذكر كانت تكفيها قبلة لاخراجها من غفوتها.

وعندما رفعت وجهها اليه ضغط عليها بنعومة، ولم تقاوم

جين فجسمها لا يزال مخدراً من النعاس والتصقت بشارل وكأنها تريد ان تذوب فيه بشكل نهائي وتاهت في مشاعرها ولم تعد تفكر بالهرب منه، ثم تركها فجأة بفظاظة خافت ان تفقدها توازنها وقال بسخرية وكأنه مسؤول عن ان يوصلها الى الحقيقة.

- يبدو اننا نحمل بعض الميول العدوانية وعلينا ان نتخلص منها. ولا اريد ان العب دور الامير الجذاب المكروه، والآن حان الوقت الذي تنام فيه الصغيرات.

ضحكته العصبية هزت جين، ثم تركها بحالة شبه هستيرية، ولن تكون مهزلة لهذا الرجل وعليها ان تنقذ كرامتها بأي ثمن.

- هل تعتقد؟ مع الأسف لا املك شيئاً من جميلة الغابات النائمة.

والتفتت وانهمرت الدموع من عينيها ولم تستطع السيطرة عليها.

كانت سعيدة ان تستيقظ صباح اليوم التالي لأن الليل الذي امضته لم يكن ذلك الذي تتمنى ان يطول. اذا استطعت فقط ان اطرد شارل غريرسون من تفكيري، هذا ما كانت تحلم به، ولم تكن لديها اي رغبة لتكرار مأساة ليلة امس، ولكن يبدو ان الطريقة المثلى ان تغادر هاي لينتون بشكل نهائي، ووعدت نفسها ان تنفذ ذلك في الأيام القريبة القادمة.

٨ - قرارات بالجملة ... وتمرد

الرياح الباردة تصفر، تبعتها الأمطار الغزيرة، وتساقطت اخر الاوراق، ولف الضباب الكثيف المنطقة، ومرضت ماري في اليوم الذي سافر فيه شارل الى فرنسا، مما كان له اثره على القرار الذي اتخذته جين في الرحيل اثناء غياب شارل، واستدعت الطبيب الذي قال:

- انها متعبة جداً، واعتقد ان شارل غير موجود؟
- لا لقد سافر الى فرنسا.
- اذن سيتغيب لاسبوع او اثنين؟

وقد لا يعود، هذا ما فكرت به جين وهي توصل الطبيب الى الباب. انها لم تره كثيراً في الفترة الاخيرة لقد كان مشغولاً

بتنظيم كثير من الأمور قبل سفره، وساورتها الشكوك بانه يتحاشاها في كل حال، يكون مخطئاً لو اعتقد انها راغبة برؤيته، وظلت متماسكة عندما رأته يرحل بدون ان يوجه اليها كلمة واحدة.

- قد احتاجك بعد الظهر يا مارك لأن ماري مريضة وهيلدا لا يمكنها ان تساعدنا اكثر من ساعتين، لذلك فان العمل الذي يقع على كاهلي، سيكون اكثر من اللازم ولن استطيع الاهتمام كما يجب بالجياد.
- يمكنك ان تعتمدي علي يا جين.
- وكما تعلم، شارل منعني ان امتطي هاموند، قد تكون لديه اسبابه، مع انني لا ارى اي تبرير هذا الموقف، ولكن بما انه رب العمل فعلينا ان نطيعه.

وعندما رنت ضحكة مارك، التفتت جين لما قالته لأن مارك يجب ان يغتاب شارل، وكأنه قرأ ما يدور في ذهنها فقال:

- لا ضرورة للانزعاج، فالنقد لا يؤذي احداً، وشارل يعرف تماماً بأنني اكره هذا الحصان ويصر ان اعتني به اثناء غيابه، وانا لدي الكثير من الأعمال.

لا جدوى من مناقشة مارك، تركته ودخلت المطبخ لتحضر ما يجب تحضيره لماري، مضى الوقت، وعادت هيلدا، وفجأة رن جرس الهاتف وكانت سكرتيرة السيد ريفلي الذي يبحث عن مارك على وجه السرعة. سجلت جين بدقة الرقم والاسم

الذي لم يكن غريباً عنها، وذهبت تبحث عن مارك ونصحتها هيلدا بأنها على الأغلب ستجده عند ليديا في القصر...

فأجابت جين:

- حسناً سأذهب الى القصر وسأستغل الفرصة في اخراج جنيفر من الاصطبل.

ثم فكرت ان تسرج اولاً جنيفر وتذهب بها الى القصر من الممر الذي دلها عليه شارل، وفي نهاية الممر ربطت جنيفر لكي لا تتلف العشب واكملت طريقها سيراً، وعندما وصلت الى جانب المكتب شاهدت مارك وليديا على النافذة، وفوجئت بتجاوب ليديا لعناق مارك الذي لا يترك مجالاً للشك بعواطفها تجاهه، ولم ينزعجا من وصول جين التي اوصلت رسالتها الى مارك، فشكرها كثيراً وتبجح بانه على علم بالموضوع وعند عودتها قررت ان تروي لماري كل شيء بعد ان تتحسن صحتها.

وذات يوم صعدت الى ماري حاملة الشاي وفوجئت بها جالسة في السرير ولديها الرغبة في الحديث وبعد فترة من الدردشة تجرأت ان تسأل ماري:

- لماذا لا تسكنين القصر مع شارل؟ اليس هذا منطقي؟

- تركت القصر عندما تزوجت، وبعد وفاة زوجي فضلت ان ابقى هنا مع ذكرياتي.

- اني افهم هذا، ولكن القصر شبه مهجور؟

- صحيح ان السيد شارل يتغيب كثيراً ولكن المشكلة تكمن في عدم وجود يد نسائية في القصر.

- ولكنه يستطيع ان يتزوج؟

- طبعاً هذا حل، وهذا ما تريدين معرفته.

- فكرت فقط... ان ليديا...

- ليديا؟ ما الذي جعلك تفكرين بها؟ انها ستتزوج من مارك وهذا معروف لدى الجميع.

- مارك؟ ولكن شارل الم يكن معجباً بها؟

رفعت ماري عينيها الى السماء بانزعاج وقالت:

- شارل ابعد الناس من ان يغرم بليديا، وهي اولى بابن عمته.

- ابن عمته؟

لمعت عيناها من الدهشة وخفق قلبها.

- نعم، الم يقل لك شارل بأن مارك ابن عمته؟

- لا... لا لم اكن اعرف، اذن الآن فهمت كل شيء، ولطالما تساءلت كيف يستطيع شارل ان يتحمل وكيل اعمال كمارك.

- والدة مارك ترملت وهي شابة ونتيجة لأوضاعها المادية السيئة، عاشت في منزل اخيها السيد غريرسون الأب، ولما مات الاثنان كان مارك في الثانوية فأخذ شارل على عاتقه مساعدته. وبعد وفاة والد ليديا جاء مارك كوكيل اعمال ولكن

طبيعته المتقلبة ومزاجه المتردد جعلاه لا يستقر في القصر وعندما وقع في غرام ليديا توقعنا ان يجد توازنه في الزواج، لكن يبدو ان هذا غير صحيح، وهو الآن يبحث عن شيء اخر خارج المزرعة.

- لكن كان من الممكن ان يتركه شارل يتدبر اموره بنفسه؟

- انت لا تعرفين آل غريرسون... ان شارل مهتم بسعادة مارك وليديا. وحاول ان يسهل عملية زواجهما، ووعدهما بتقديم المزرعة التي لا تبعد كثيراً عن هنا، وهي جزء من هذه المزرعة ونستطيع ان نقول انها بمثابة هدية الزواج.

وهنا تذكرت جين السيد ريدلي الذي كان يبحث عن مارك.

- قد يكون كاتب العدل، لأن السيد شارل اعلمنا قبل سفره بأن مارك سيقوم بعملية التوقيع واني لأن اتخيل فرحته.

ولم تجب جين فقد شعرت بحزن عميق، وكأنها تحسد الناس الذين يحققون احلامهم. ثم اجابت:

- بدا لي وكأنه جن من الفرح، وكنت اظن ان ليديا وشارل..

قاطعتها ماري بضحكة فضولية:

- اذا حلمت ليديا بأن تصبح في يوم من الأيام سيدة هاي ليتون فإن شارل سيحبط احلامها بدون شك.

ولكن جين لم تطمئن تماماً الى هذا الكلام، خاصة وان يوم رحيلها قريب، وبما ان ماري ستعود الى عملها خلال اسبوع

على الأكثر، عادت الى غرفتها واعدت حقيبتها ووضعتها تحت السرير، وقررت ان تذهب الى الاصطبل لاخراج الجياد، لأن مارك وعدها بذلك ولكنه لم يفعل، فقد ذهب مع ليديا بالتأكيد الى المدينة.

وهناك استقبلتها الأحصنة بالصهيل تارة والاحتكاك بها تارة اخرى ونظرت اليها والدموع تترقرق في عينيها وكأنها تودعها. ولا بد ان الجياد فهمت ذلك، وفوجئت بوصول مارك مسرعاً وهو يفرك بيديه:

- يبدو انها ستثلج، فالبرد شديد.

- اسرع يا مارك فالوقت قد تأخر وانا اعاني من صداع شديد.

- آسف لتأخري ولكني كنت مشغولاً.

- لا تهتم... ان تعبي لا علاقة له بك. ومدت له لجام جنيفر. خذها وسأتبعك.

مرة اخرى تخالف تعليمات شارل وتمتطي هاموند الشيء الذي اخاف مارك وجعله يرتجف، واحست جين بالنشوة ونسيت كل مشاكلها ما عدا احساسها بقسوة البرد.

- لنصعد الى قمة الهضبة يا جين فالمشهد رائع.

وابتسمت جين لأنها احست بأنه يريد الذهاب الى القمة ليرى المزرعة التي سيصبح مالكها عن قريب.

- لنتسابق اذن..

وبسعادة قفزت الى القمة تاركة وراءها مارك وجنيفر. ولدى نزولها، صعقت جين عندما سمعت صوت فرامل سيارة السيد شارل امامها على الطريق. . وقفز هاموند باتجاه سيده وعبثاً حاولت ان تخفف من سرعته ورأت نفسها امام وصول شارل المفاجيء ونظراته الغاضبة. امسك باللجام ونظر الى جين نظرة مليئة بالغضب.

- الم امنعك من امتطاء هاموند.

وارتبكت ولم تعد تعرف بماذا تجيب فقالت:

- وانت تعرف جيداً ان مارك يخافه.

- انت وابن عمتي العزيز ستدفعان الثمن.

- لم نتوقع عودتك في هذا الوقت المبكر.

- مفهوم وواضح.

- اؤكد لك ان الذنب ليس ذنب مارك.

وجنت من الخوف بأن يبعد مارك عن المزرعة وبذلك لن يتم زواجه من ليديا. . . يجب تجنب ذلك بأي ثمن واضافت:

- انا التي رجوت مارك ان يترك لي هاموند.

- يكفي لا اود ان اسمع اكثر.

سمعت صوت حوافر جنيفر وعرفت بأن مارك سيصل بين لحظة واخرى وماذا سيحصل لو انفجر الموقف بين الرجلين، ولتحاشي ذلك قررت ان تبتعد بدون ان تهتم لغضب شارل فشدت اللجام من يده وانطلقت.

وليذهب الى الجحيم هو وتهديداته. . . ولم تلتفت الى الوراء، وفكرت بمارك كانت تتمنى الا يقول شيئاً. . . وبعد ان اعادت هاموند الى الاصطبل وصل مارك وقال بقلق:

- شارل طلب ان تذهبي اليه فوراً.

تنهدت بارتياح لأن السيد لم يتبعها وسوف تتماسك قبل لقائه.

- اشكرك يا جين لأنك حاولت تبرئة ساحتي امام شارل، ولكني لا اود ان ينظر الي نظرته الى جبان ومسكين.

ابتسمت جين وانهت ما كان عليها عمله وانتظرها مارك قائلاً:

- سأذهب الى القرية لاصطحاب الطالبين، اتريدين ان اوصلك الى القصر؟

- لا تقلق سأذهب بنفسي بعد ان انهي بعض الاعمال في المنزل والتي ستستغرق اكثر من ساعة. وغرقت جين في افكارها وهي في طريقها الى القصر الذي وصلته مبللة.

كان شارل يلبس الملابس الخاصة بالمدينة عندما قادها الى مكتبه، ومن شدة الخوف لم تنتبه عندما انحنى وخلع عنها سترتها بخشونة واختفى في الغرفة المجاورة وعاد بنشفة.

- من الأفضل ان تجففي شعرك وثيابك قبل ان تمتلىء السجادة بالماء.

لجمت غضبها، انسي انها مبللة من شعرها حتى اخمص

قدميها بالماء، لم يفكر سيادته الا بسجادته، وارادت ان تقذفه بالمنشفة، ولكنها فضلت ان تهدأ وتصغي الى محاضرته، ثم قالت بسخط وسخرية:

- لا داعي لكي تزعج نفسك ولن اضيع وقتك وسأعود الى المزرعة، وهناك لن اخاف على سجادتك.

- لست مستعجلاً يا آنسة براون.

- ولكني لا اريد ان ازعجك اكثر من ذلك.

- اذن الآنسة براون لديها ضمير مع انني بدأت اشك في ذلك، كنت سأتصل بالمزرعة لأعرف اين ذهبت.

سقطت المنشفة من يد جين.

- يبدو انك نسيت يا سيد غريرسون بأنني لست حرة في اوقاتي.

- تنهين عملك في السادسة.

- وبعدها اساعد ماري اذا لم يكن هناك شيء آخر.

- كفي عن تمثيل دور سندريلا.

- الا تصدقني؟

اخذ المنشفة ورماها على كرسي بجانب النار وقال لها:

- اجلسي هنا قرب الموقد لتجففي نفسك.

ووضع يده على ذراعها ثم على شعرها وهذا ما زاد من انفعالها ثم قال:

- لا . . . لست مقتنعاً لأنني لست اعمى.

وثارت ثائرتها من هذه الشتيمة والاهانة فنهضت وقالت

- لن ابقى دقيقة واحدة بعد الآن في هذا البيت.

شدها من ذراعها واجبرها على الجلوس قائلاً:

- هذا تمرد، وستبقين هنا وانا الذي اقرر الى متى.

واشتعلت جين غضباً امام هذا التهديد.

٩ - المطر يغسل الهموم

ظلت جين شاردة تتأمل النار، وحاول شارل ان يخترق هذا الصمت المهيمن فقال بلهجة لطيفة:

ـ اهدأي. [illegible]ا تفكرين بالحرب دوماً، فالحياة بحاجة الى المجابهة.

ملأ كاسين من الشراب وقدم لها واحداً وتابع:

ـ اشربي، لا اريدك ان تصابي بمرض نتيجة هذا البرد.

اخذت الكاس مرغمة واحست بحرق في حنجرتها بعد الجرعة الأولى، ولكنها شعرت فيما بعد بالراحة، واحست بثقل في رأسها، ووجهت نظرها الى الكاس هرباً من ذلك الوجه الغامض الذي يوحي اليها بالخوف. وراحت تفكر بطفولة

شارل ووحدته. ولكن هل يمكن لهذا الرجل الحازم المليء ثقة في نفسه ان يكون هو ذلك الطفل الوحيد؟ ولكن ماذا ينتظر لكي يفرغ ما في داخله ضدها، وبالتأكيد فمسألة الحصان هاموند لم تكن الا واحدة من جملة امور كثيرة.

وحاولت ان تسيطر على رعشة جسمها وكسرت الصمت بقولها:

ـ اعتقد انك طلبتني بخصوص هاموند؟

ـ وهل تنتظرين ان ابارك اخطاءك؟

هذه اللهجة جعلت جين تأخذ حذرها.

ـ آسفة للطريقة التي انسحبت بها مع هاموند امامك...

وقد يكون ذلك بسبب خوفي منك.

قطب حاجبيه بعدم مبالاة:

ـ انه عذر اقبح من ذنب، اي انك تعتقدين بانني لا استطيع السيطرة على اعصابي؟

ـ لا اعرف.

ماذا يريد اكثر من ذلك... وبياس خفضت رأسها واسدلت بهذه الحركة شعرها على وجهها كستارة، ثم سحبته الى الخلف بعصبية ووقفت قائلة.

ـ من الأفضل ان اذهب.

وعندما رأى شارل شحوب وجهها ضحك بسخرية واضاف:

- ان لصبري حدوداً.. اتعرفين ذلك، لقد ضقت ذرعاً بتصرفاتك.

وقاطعته جين بعصبية بعد ان استعادت شيئاً من القوة.

- كان من الأفضل ان تسعي الى الاصطبل فوراً.

نظر الى قميصها المبلل وقال:

- هذا يعني يا عزيزتي ان سلوكي سيسبق افكاري. وسيكون مؤسفاً بالنسبة اليك، انت الشابة المليئة بالنشاط.

ولم تستطع جين ان تحتمل اكثر من ذلك فقالت:

- ولكن ما العلاقة بين هذا وصغر سني. لقد جئت الى هنا لتحدثني بموضوع هاموند.

وتحشرج صوت جين ولم تستطع ان تتابع اكثر من ذلك.

- انت غامضة تماماً، وهذا ما يفسر لي سر الجاذبية التي يحملها كل منا للآخر.

وشعرت جين بأنها ستجن. ازدادت آلام الصداع وكذلك رعشة الجسم، وبذلت مجهوداً مضاعفاً لتركز انتباهها ولكنها اصيبت فجأة بالدوار.

- ارجوك يا شارل.

قالتها بتنهد:

- ارجوك يا شارل!

اعاد الجملة بسخرية ورفع يده فتراجعت جين الى الوراء لا شعورياً، ولكن شارل لم يرفع يده ليضربها كما تصورت وانما

ليمسكها من كتفيها ويشدها بقوة الى صدره قائلاً:

- هذا على الأقل يمكنك ان تفهميه.

وضمها بين ذراعيه اكثر فصرخت بعصبية:

- لا.

ولكن الصرخة الغريبة التي اطلقتها جين جعلته يعتصرها اكثر فأكثر ولم تستطع جين ان تفعل شيئاً لتمنعه... وعندما عانقها نسيت كل شيء واستسلمت اليه بكليتها وعقدت ذراعيها حول عنقه وترنحت وهي تسمع دقات قلبه، لا شك انها تحبه بجنون، ولكن هل يبادلها هذا الحب؟ ولكن عناقه والقوة التي يشدها بها الى صدره الا تدل على ذلك؟

وفتحت عينيها بعد ان فوجئت بالضحكة الساخرة، تراجعت الى الوراء وانقلب الحلم الجميل الى كابوس مخيف وسمعته يصرخ بسيطرته المعتادة:

- قبل ان ننجرف اكثر، عليك ان تقولي من انت؟

سكنت ذاكرتها وبقيت صماء مندهشة تتأمله بعينيها الخضراوين، كان الموقف قاسياً جداً، وكانت تحتاج الى شجاعة العالم في هذه اللحظة لتستعيد نفسها... وصرخت:

- كل هذا لترضي فضولك، يبدو انك تحملت كثيراً من العذاب من ليديا حتى تنتقم من الاخريات على هذا الشكل؟

- يا الله... ما هذا الذي تقولينه؟

ولم يكن يتوقع هذا الانفجار المفاجىء الذي ابدته، وفي هذه

اللحظة كان لوقع جرس التلفون الذي رن في الغرفة كصوت انفجار القنبلة، وتوقعت جين بانه لن يجيب، ولكنه رفع السماعة بدون ان يرفع بصره عنها واجاب:

- ٣١٣ هاي ليتون، نعم.

استغلت جين الموقف لتتمالك نفسها واستندت الى المكتبة، عندما سمعته يطلق تعجباً مكتوماً... انه خبر سيء بدون شك، وبعد كلمات الشكر وضع السماعة، ونظر الى جين بتأمل وقال:

- انها الشرطة، مارك اصيب بحادث سيارة ونقل الى المستشفى، ويجب ان اذهب فوراً.

نظرت اليه بخوف وسألت:

- هل ليديا معه؟

- نعم، ولكن مارك وحده المصاب، واصابته غير خطرة كما اخبروني ولكنه يرفض الكلام قبل اجراء الفحوصات الطبية الكاملة، ولذلك، يجب ان اذهب فوراً وستأتين معي بالتأكيد.

- لا سأبقى هنا، لأن ماري ستقلق لغيابي عندما تعود.

- سنترك لها ورقة، وقد تكون ليديا بحاجة الى وجود نسائي بجانبها لأنها لا تزال تحت تأثير الصدمة.

ليديا... دائماً ليديا، ستستغل غيابه لكي ترحل وبدون اي شرح لأنها لا تملك الشجاعة لتجابه احتقاره.

- ارجوك، اني متعبة ولا استطيع ذلك.

انحنى شارل وعانقها بخفة وكأن شيئاً لم يحدث ثم توجه نحو الباب.

- لقد كان يوماً متعباً بالنسبة اليك وسأوصلك الى المزرعة.

ولم تعد جين تفهم شيئاً، فنسيت سترتها في المكتب وصعدت الى السيارة بدون ان تفوه بكلمة وحاولت ان تتذكر فقط اللحظات الحلوة التي لا تستطيع نسيانها... وضغط شارل على يدها قائلاً:

- ما رأيك ان نتابع غداً الحديث، واعدك بألا اكون فضولياً، تصبحين على خير والى اللقاء غداً.

ودخلت جين المنزل واخذت حقيبتها واستعارت سيارة ماري بعد ان تركت لها رسالة عبرت فيها عن اسفها وشكرها ووعدتها ان تعيد اليها سيارتها في صباح اليوم التالي مع السائق. وبعد ان امضت ليلتها في فندق المدينة، استقلت سيارتها وتوجهت الى الطريق المؤدي الى برادفورد، وفي الطريق فكرت ان تتصل بالمستشفى، وشعرت بارتياح عندما علمت بأن حالة مارك لا تدعو الى القلق وانه مصاب بكسر في ذراعه...

وعندما وصلت الى البيت حاولت ان تجيب على اسئلة والدتها بالطريقة التي ترضيها. اما والدها فقد كان يكفيه ان ينظر الى وجه ابنته الشاحب حتى يفهم كثيراً من الأمور. وكان مسروراً بعودتها. ولحسن الحظ فإن انهماكه في العمل جعله اقل فضولاً من امها. ورغم الاهتمام الكبير الذي اظهرته

امها، شعرت بانها غير مرتبطة بهذه العائلة وان قلبها ما زال في هاي لينتون.

عادت جين الى وظيفتها في مشروع والدها بشكل مؤقت، ووالدتها لم تعد بحاجة اليها في الأعمال المنزلية بعد ان استعادت صحتها. هكذا بدأت تمر الأيام. وهي تعيش اسوأ الحالات، وعادت بتفكيرها الى المزرعة، كانت تسمع صفير الهواء بين الاشجار، كذلك صهيل هاموند وجنيفر وترى وجه ماري، اما ظل شارل فقد ظل لا يفارقها مهما حاولت ان تطرد هذه الافكار وهذه الخيالات. ولكنها عقدت العزم بألا تراه ثانية.

ذات مساء عادت الى المنزل مبللة بعد ان تعطلت سيارتها ورفضت دعوة فليكس في اصطحابها مما اضطرها ان تمشي تحت المطر، وعادت الى ذاكرتها آخر ليلة امضتها في هاي لينتون ولأول مرة تركت نفسها تستعيد التفاصيل الصغيرة للساعات الأخيرة مع شارل.

ارتجفت وهي تسرع الخطوات، وتذكرت بأن اهلها سيتناولون طعام العشاء خارج المنزل، وعليها ان تصل قبل خروجهم، وبدخولها من الباب سمعت صوت رجل يتحدث الى اهلها، وشعرت بأن الأرض تميد من تحت قدميها انها تعرف تماماً هذا الصوت... انه صوت شارل، وخفق قلبها بشدة ولكن كيف عرف عنوانها ونظرت اليه بدون ان تصدق وتسمرت في مكانها.

- السيد غريرسون، احضر لك السترة التي نسيتها عنده.

هذا ما قاله والدها بصوت اجش بينما صرخت امها فرحة:

- تصوري ان لديه اولاد عم يسكنون بوردو.

بدأت جين بخلع معطفها وهي ترتجف من الانفعال وخاصة بعد ان لمحت الابتسامة الساخرة على شفتي شارل وقالت:

- شكراً ولا اود ان اضيع وقتك اكثر من ذلك، ومن الأفضل ان تستعجل عودتك لأن الطقس سيء في الخارج.

اقترب منها بنظرات غامضة وبدأ يساعدها في خلع معطفها، ودوى في الخارج صوت زمور سيارة فقال السيد براون:

- انه السائق، نعتذر لأننا سنذهب بهذه السرعة.

ثم اضافت السيدة براون:

- السيد غريرسون سيمضي ليلته هنا، وسيكون العشاء جاهزاً في السابعة، لذلك عليك ان تبدلي ثيابك بسرعة.

وخرجوا بدون ان يشرحوا اكثر من ذلك لابنتهم. لم تصدق ما سمعته واعتراها شعور غريب ان ترتمي على صدره لتؤكد له انها بخير. ورأته يشد على فكيه وهو يبتعد وكأنه ادرك مشاعرها.

- لقد قبلت دعوة اهلك في قضاء الليلة هنا وعليك ان تتبعي نصائح امك في تغيير ملابسك لأنه ليس من الأدب ان اقدم لك منشفة في بيتك.

- يا لك من وحش.

قالتها وهي تصعد السلم المؤدي الى غرفتها، اخذت حماماً

ساخناً واختارت اجمل ثيابها...

وتاهت في دوامة من التساؤلات:

وعندما سمعت دقات الساعة السابعة نظرت الى نفسها في المرآة وتساءلت ما اذا كان بالامكان ان تؤثر عليه بمظهرها الانثوي هذا. نزلت السلم ببطء وهي تقول في سرها، لماذا اليأس قد تكون هذه الليلة هي ضربة العمر.

وعندما رآها تدخل الصالون بدا الاعجاب في عينيه ان هذا الفستان الجورسيه قد اظهر جمال قوامها وذلك اللون الأزرق عكس نقاء بشرتها الصافية، وحاول ان يخفي اضطرابه. دعته جين الى غرفة الطعام، واستمر الحديث طيلة الفترة، ولم تستطع جين ان تبتلع الطعام، وبذلت مجهوداً كبيراً لتحتفظ بهدوئها امام هدوء شارل، ثم عادا الى الصالون لأخذ القهوة، ولم تعد تستطع الا ان تطرح السؤال الذي كان يحرق شفتيها:

- كيف عرفت عنواني؟

وحاولت ان تتحاشى النظر اليه فشغلت نفسها بصب القهوة:

- تقصدين انني تأخرت في الوصول.

امسكت جين ثورتها امام وقاحة هذا الرجل الذي تابع بهدوء:

- لمن الغباء بالنسبة الي ان اذهب قبل ان اسمع تفسيرك لهذه الأمور... أليس هناك ما يدعو للمفاجأة.

وارادت جين ان تنشق الأرض وتبتلعها امام نظراته واجابت:

- ولكن الا تعتقد بأنك تبالغ؟

اجاب وهو يكاد ينفجر من الغيظ:

- الم تقولي بأن والدك يعمل في مصنع؟

- انه يعمل اكثر من اي عامل في المصنع...

- ان اباك ليس عاملاً... انه واحد من ارباب المشاريع الأكثر اهمية في هذا البلد، وقد تحدثنا بذلك مفصلاً قبل عودتك.

- ولكنني لست المسؤولة عن ذلك.

- لا... ولكنك مسؤولة عن استغلال ثقتي بك وهذا احد اسباب زيارتي.

انه يتكلم دائماً بالالغاز.

- ولكن كيف وصلت الى هنا؟

- انسيت الوكيل الذي جاءنا في احد الأيام من برادفورد وقال بانه يعرفك.

اذن لقد استطاع ان يسخر منها، هي التي اعتقدت بانها اختفت بدون ان تترك اثراً...

وقالت مازحة:

- ولكنني عدت منذ ثلاثة اسابيع؟

- انسيت حادث مارك؟

- لا . . . لقد سألت عنه في المستشفى.

- يدهشني اهتمامك هذا.

- يبدو انك تستمتع بالسخرية مني.

- اعتقد بأن هناك اشياء تسليني اكثر، ولكني لم استطع مغادرة هاي ليتون قبل ان يستعيد مارك صحته، ولنعد الى موضوعنا، لماذا تسللت كاللص من هاي ليتون بدون ان تعلمي احداً. هذا السؤال وضعها في موضع لا مجال للتراجع فيه فخفق قلبها بشدة، وتجمد الكلام على شفتيها واجابت:

- الصدق. . . اليست هذه الصفة التي تضعها فوق كل اعتبار، لم اعد استطيع الاستمرار بهذه اللعبة، وعندما تنبهت الى ذلك كان قد فات الأوان، وانت لم تكن لديك اية رأفة بحالي.

كان يريد ان يبتسم ويغرق في كثافة شعرها الجميل ويتأملها طويلاً ويرفع وجهها اليه، ثم يغرقا معاً في عناق لا نهائي وكان يعرف بأنها لن تقاوم، ولما احس بالخطر قال بلطف:

- اليس من الأفضل ان نبدأ من البداية.

- حسناً، قرأت الاعلان وبعد ان قابلت هيلدا، وحدثتني عن اللواتي سبقنني، واستنتجت، بأنك لن تتعاقد مع فتاة من اسرة غنية وتستطيع ان تتخيل البقية. . . هذا هو جوهر الموضوع.

- لا . . . ان هذا السبب غير كاف.

واستغربت كثيراً هذا اللطف الذي يبديه وفاضت دموعها واجابت:

- لأنني احبك. . . الم تفهم ذلك الى الآن؟

احاطها بذراعيه قائلاً:

- الم تجدي وسيلة افضل من الهرب. . . كان بامكانك على الأقل ان تشرحي لي ذلك.

وشعرت بأنه سيعود الى كبريائه التي ستجعلها تخرج عن نفسها فقالت:

- لماذا؟ لكي تخذلني؟ فأنا اعرف بأنك لا تبادلني المشاعر نفسها. في كل حال لم تعد هناك اي اهمية لذلك، فأنا الآن اكرهك.

- لا، هذا غير صحيح.

وارادت ان تصفعه لأنه تجرأ ان يضحك في مثل هذه اللحظة:

- على العكس، ان ذلك له اهمية كبيرة عندي الآن، لأنني عندما طلبت يدك من والدك صارحته بأنني لم آخذ رأيك بعد.

ظنت جين انها في حالة حلم ولا بد انه يريد ان يمازحها.

- انت تتزوجني، كيف يمكنني ان اصدق ذلك؟ بعد كل المعاملة التي عاملتني بها هذه الليلة.

- وهل تتصورين بأنه كان علي ان احتضنك بين ذراعي لحظة وصولك؟ وهل يمكن ان انسى الألم الذي سببته لي منذ

رحيلك؟

واغرورقت عينا جين بالدموع وهي تقول:

- لكن، ماذا قلت لأبي؟

- بكل بساطة، انني احبك وهذا يكفي.

وبدون ان ينتظر جوابها لفها من جديد بين ذراعيه وهمس في اذنها بانه محتاج الى وجودها معه، واستسلمت جين بدون اي تحفظ وكان هذا هو جوابها.

- ظننت انك مغرم بليديا...

- من اين اتتك هذه الفكرة؟

وذكرته جين بالمحادثة التي سمعتها تحت نافذتها وبصعوبة تذكر ذلك وابتسم قائلاً:

- لو تابعت [illegible] الحوار لسمعت قولي لمارك، عليك ان تعدل عن فكرة الزواج من ليديا اذا لم تغير تصرفاتك الصبيانية هذه... هل فهمت الآن؟

شعرت بالخجل وعادت الى هدوئها قائلة:

- ولكن هل كنت تحبني في تلك الفترة؟

شدها اكثر الى صدره واجاب:

- قد لا يكون بالمقدار الذي احبك فيه الآن... ولكن كان علي الا ابوح بذلك قبل ان اعرف السر الذي اخفيته عني. ولكني منذ البداية كنت مجذوباً اليك، ويمكنك ان تتصوري ثورتي وانا ارى العلاقة الجيدة التي تربطك بمارك. انا الذي

عملت المستحيل لأشجع زواجه من ليديا لأنني اعرف نقاط ضعف مارك امام النساء الجميلات. ثم ضاعفت مجهوداتي لأضمن لها المزرعة، ولم يعد لدينا الآن اي هم تجاه الاثنين، ولنعد الى انفسنا يا جين براون... جين التي تستطيع ان تحولني من اقصى درجات الحنان الى اقصى درجات الغضب، اذا استطاعت ان ترفض مركز الفروسية كهدية اقدمها لها واتمنى الا ترمي هذه الهدية بوجهي كما فعلت بهاموند الصغير.

ضحكت جين وعانقت شارل بسعادة وازاح خصلة شعرها قائلاً:

- يجب الا تخفي عني شيئاً بعد الآن.

وانفجر الاثنان ضاحكين ثم سألته:

- وماذا كان رد فعل والدي عندما تحدثت معه في موضوع الزواج؟

- لقد بارك ذلك فوراً، ولن تستطيعي الهرب بعد الآن من هاي لبنتون.

- شارل. كيف استطيع ان اتركك وانا احبك بهذا الشكل!

وفي الخارج بدأ الهواء يصفر، والمطر يقرع زجاج النوافذ، ولكن جين لم تعد تشعر بأي شيء يدور حولها وهي بين ذراعي شارل، ولم يعد للعالم الخارجي بالنسبة اليها اي وجود.